وتوكل على العزيز الرحيم

التوحيد

العدد ٦٤١ السنة الرابعة والخمسون - جمادى الأولى ١٤٤٦ هـ
الثمن ١٠ جنيهات

مجلة • إسلامية • ثقافية • شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٦٤١ السنة الرابعة والخمسون - جمادى الأولى ١٤٤٦ هـ
الثمن ١٠ جنيهات

إلهاب الحماس للتنافس في قضاء حوائج الناس

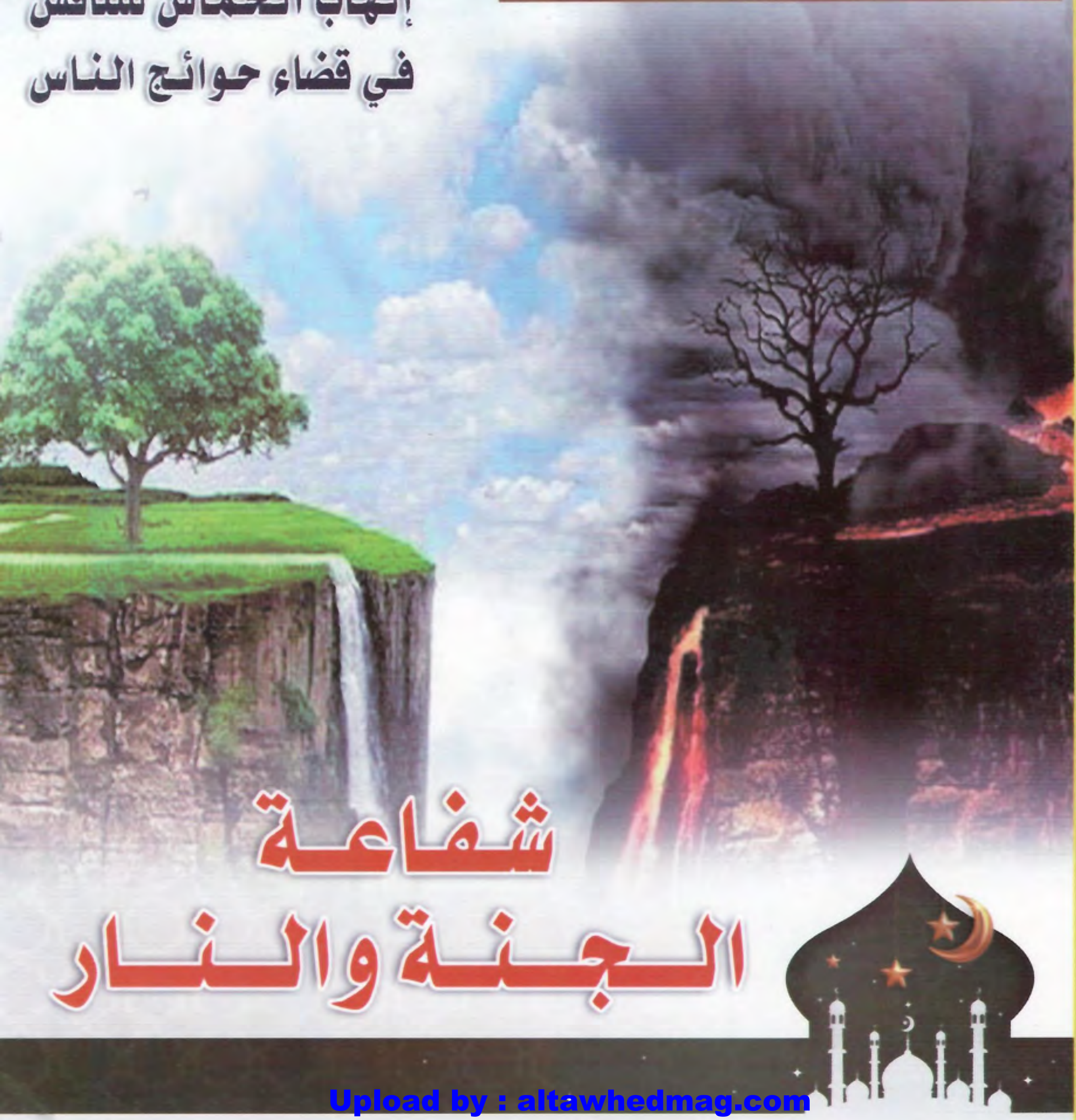

شفاعة الجنة والنار

بسم الله الرحمن الرحيم

رئيس مجلس الإدارة
والمشرف العام على مجلة التوحيد فضيلة الشيخ

أحمد يوسف عبد المجيد

فاعلم أنه لا إله إلا الله

جمعية أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

الاشتراك السنوي

١- في الداخل سعر الاشتراك السنوي للفرد (عدد نسخة واحدة من المجلة على عنوان المشترك) ٢٠٠ جنيه سنويًا.

للتواصل: واتساب: ٠١٠٠٢٧٧٨٨٢٣٢.

٢- في الخارج ما يعادل ٨٠ دولاراً أو ٤٠٠ ريال سعودى بالجنيه المصري.

السلام عليكم

بتوجيه من فضيلة الرئيس العام لجماعة أنصار السُّنَّة المحمدية-حفظه الله-؛ فإن مجلة التوحيد الغراء تشرُف بدعوة خطباء ودعاة الجمعية الكرام وأهل العلم والفضل أصحاب المناهج المستقيمة إلى المشاركة البنَّاءة في إثراء المجلة بمقالات هادفة بنَّاءة وبمنهج واضح وقلم سديد ، فمن وجد من نفسه نشاطًا ورغبة في المشاركة بقلمه ورأيه فليتفضل مشكورًا بالمراسلة على البريد الإلكتروني للمجلة، أو على واتساب رئيس التحرير ٠١٠٠٥٠٠٧١٥١، على أن تكون المقالة مكتوبة على ملف word، وبحد أقصى ١٣٠٠ كلمة للمقالة الواحدة.

ويتم نشر المقالات المرسلة في حال الموافقة عليها بعد عرضها على إدارة المجلة.

ولكم منا وافر الشكر والتقدير.

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٥١ مجلدًا
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٥١ سنة كاملة

رئيس التحرير
مصطفى خليل أبو المعاطي

فهرس العدد

افتتاحية العدد الشيخ أحمد يوسف عبد المجيد ٢
باب التفسير د. عبد العظيم بدوي ٥
باب العقيدة: مبادئ علم التوحيد د. عبد الله شاكر ٨
الازدواجية والظاهرة المكدرة د. عاطف الفاروقي ١١
طريقة القرآن في عرض موضوعاته أ.د. محمد حامد ١٤
باب السنة د. جمال المراكبي ١٧
غزوة أحد د. سيد عبد العال ٢١
الحياء تاج الأخلاق الشيخ صلاح نجيب الدق ٢٤
قضاء حوائج الناس المستشار/ أحمد السيد علي ٢٨
واحة التوحيد د. علاء خضر ٣٢
أحوال العباد يوم التناد الشيخ رضا الخطيب ٣٤
صلاح الأمة في علو الهمة الشيخ/ محمد صفوت نور الدين ٣٦
من روائع الماضي : الرسول بين الميلاد البشري والميلاد النبوي
الشيخ/ محمد حامد الفقي رحمه الله ٤٠
تحذير الداعية من القصص الواهية الشيخ علي حشيش ٤٥
الألفاظ الموهمة في باب الصفات بين الإجمال والاستفصال (٥)
أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي ٤٩
الحياة الزوجية في الإسلام الشيخ إبراهيم حافظ رزق ٥٣
خلق الرفق الشيخ صلاح عبد الخالق ٥٦
الاستنفار للزوم الاستغفار الشيخ عبده أحمد الأقرع ٥٩
كيف نفوز بمحبة الله؟ أ/ عبد العزيز مصطفى الشامي ٦٢

رئيس التحرير التنفيذي:
حسين عطا القراط

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

ثمن النسخة

مصر ١٠ جنيهات ، السعودية ١٢ ريالا ، الإمارات ١٢ درهمًا ، الكويت ١ دينار ، المغرب دولاران أمريكيان ، الأردن ١ دينار ، قطر١٢ ريالا ، عمان ١ريال عماني ، أمريكا ٤ دولارات، أوروبا ٤ يورو

إدارة التحرير
٨ شارع قولة عابدين ـ القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ ـ فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الالكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

١٢٠٠ جنيه ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات
داخل مصر و٣٠٠ دولار خارج مصر شاملة سعر الشحن

وتوكل على العزيز الرحيم

إعداد الشيخ/ أحمد يوسف عبد المجيد
الرئيس العام

الحمد لله الذي من توكل عليه كفاه، والصلاة والسلام على خير من توكل على مولاه. وبعد:

فإن من الكلمات الدارجة على ألسنة كثير من الناس (توكلت على الله)؛ والناس مع التوكل ينقسمون إلى قسمين:

قسم لا يعرف إلا الأسباب، ويظن أنها كل شيء ويعتمد عليها دون التوكل على الله مُسبِّب الأسباب، وهذا عاقبته وخيمة وسعيه ضالّ.

وقسم مُوفَّق أيقن بضعفه وسلم من الغرور، وعلم أن كل شيء في الكون إنما هو بقدر الله سبحانه، وأنه لا يكون في مُلكه إلا ما يريد؛ فسلَّم أمره لله وحده وتوكل عليه، وأيقن بعزته ورحمته؛ فأخذ بالأسباب، ممتثلاً قوله تعالى: «وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ» (الشعراء: ٢١٧).

قال القرطبي -رحمه الله- عند تفسيره لهذه الآية: (أي: فَوِّض أمرك إليه فإنه العزيز الذي لا يُغالَب، الرحيم الذي لا يَخذل أولياءه)، والتوكل في لغة العرب كما قال ابن منظور: المتوكل على الله هو الذي يعلم أن الله كافل رزقه وأمره، فيركن إليه وحده، ولا يتوكل على غيره. والتوكل إظهار العجز والاعتماد على غيرك.

والتوكل من العبادات القلبية التي بها يُفوِّض العبد أمره لربه لثقته بقدرته سبحانه على كل شيء.

قال القرطبي عند تفسير قوله تعالى: «وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ

ٱلْمُتَوَكِّلُونَ » (إبراهيم: ١٢): والتوكل على الله هو الثقة بالله، واليقين بأن قضاءه ماضٍ، واتّباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم في السعي فيما لا بد منه من الأسباب من مطعم ومشرب، وتحرُّز من عدوّ وإعداد الأسلحة واستعمال ما تقتضيه سنة الله تعالى المعتادة، وخير مَن توكل على الله هم رسل الله، كيف لا وهم من اختارهم ربهم واصطفاهم، قال تعالى في سياق حديث الأنبياء مع أقوامهم: « وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ » (إبراهيم: ١٢).

وهذان هما الخليلان إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام كانا قدوة في التوكل على الله تعالى في مواقف لا يثبت فيها إلا المتوكلون حقًا.

> التوكل على الله هو الثقة به تعالى، واليقين بأن قضاءه ماض

فقد روى البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: ««حَسْبُنَا اللَّه وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا «إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّه وَنِعْمَ الْوَكِيلُ»». وقال ابن كثير رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية: أي الذين توعدهم الناس بالجموع، وخوّفهم بكثرة الأعداد فما اكترثوا لذلك، بل توكلوا على الله، واستعانوا به وقالوا: «حَسْبُنَا اللَّه وَنِعْمَ الْوَكِيلُ».

والتوكل على الله تعالى يصل بالعبد إلى دخول الجنة بغير حساب في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة كما في الصحيح من حديث ابن عباس: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب، هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون»، ومن حسن توكلهم على الله أنهم لا يسترقون ولا يتطيرون.

والله حسب المتوكلين وكافيهم، قال تعالى: « وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا » (الطلاق: ٣).

قال القرطبي رحمه الله في تفسيره: "أي: مَن فوَّض أمره إليه كفاه ما أهمه، وقيل: من اتقى الله وجانَب المعاصي وتوكل عليه فله فيما يعطيه الله في الآخرة من ثوابه كفاية، ولم يرد الدنيا؛ لأن المتوكل قد يُصاب في الدنيا وقد يُقتل، والمتأمل في حال المتوكلين يرى عجبًا، من يظن أن آدميًا يُلْقَى في النار ثم يخرج منها سالمًا؛ إنه الخليل إبراهيم لما قال بلسانه موقِنًا بقلبه: «حَسْبُنَا اللَّه وَنِعْمَ الْوَكِيلُ»؛ قال سبحانه: « قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ » (الأنبياء: ٦٩).

وهذا كليم الله موسى عليه السلام يقول واثقًا في ربه متوكلاً عليه وقد لاحقه فرعون بجنوده وليس أمامه إلا البحر: « كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ » (الشعراء: ٦٢). فكانت النتيجة « فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ » (الشعراء: ٦٣). إنه التوكل الذي دعا موسى قومه إليه، قال تعالى: « وَقَالَ مُوسَىٰ يَـٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ۝ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ » (يونس: ٨٤- ٨٥).

ولا شك أن النجاة وسط هذه الأزمات إنما هي بحسن التوكل على الله تعالى، وتفويض الأمر إليه في كل صغير وكبير؛ فهو سبحانه القادر على كل شيء، وسيد المتوكلين صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج من بيته يخرج متوكلاً على الله، كما في

حديث الذي رواه أبو داود والترمذي وغيرهما، عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج من بيته قال: «بسم الله، توكلت على الله، اللهم إني أعوذ بك أن أَضل أو أُضل، أو أزل أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل عليَّ».

وقد سمَّاه ربه "المتوكل"؛ كما في الحديث الصحيح. وقد علمنا صلى الله عليه وسلم أن مَن توكل على الله عند خروجه من بيته قولاً وعملاً؛ كفاه الله ما أهمه، وهداه ووقاه من كل سوء، وصرف الشيطان عنه، كما في حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قال-يعني إذا خرج من بيته- بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: هُديت وكُفيت ووُقيت، وتنحَّى عنه الشيطان».

إن التوكل على الله معناه أن يكون القلب فارغًا تمامًا من غير الله مهما كانت قوته وسطوته وعلوه، فما سوى الله لا يملك من الأمر شيئًا، «قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ» (آل عمران: ١٥٤). وليس أدلَّ على ضعف قوى البشر كلها من أن الله كتب عليهم الموت وأظهر سبحانه ضعفهم أمام الموت فقال لهم: «فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ» (آل عمران: ١٦٨)، عجبًا لأمر المتوكل على غير الله!! إنه ضعيف يتوكل على ضعيف، وفقير يعتمد على فقير، بل وميت يتوكل على ميت.

والتوكل الصادق يكون على الله وحده: «وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ» (الفرقان: ٥٨)، وفي هذه الآية درس لمن يتوكلون على الأحياء، فما بال من يتوكلون على الموتى، ويُعلِّقون عليهم الحاجات، ويظنون بهم تفريج الكربات ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وإن من الجهل أن يظن الناس أن التوكل معناه ترك الأسباب، أو أن يعتمدوا على الأسباب. إن التوكل الصحيح معناه اعتماد القلب على الله والعمل بالجوارح بالأسباب، وهذا سيد المتوكلين صلى الله عليه وسلم يأمره ربه بمشاورة أصحابه في الأمر؛ فإذا عزم عليه فليتوكل على الله؛ قال تعالى: «وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ» (آل عمران: ١٥٩).

وعليه فإن التوكل على الله لا ينافي الأخذ بالأسباب؛ فإن سُنة الله تعالى الماضية في خلقه أنه جعل الأسباب سبيلاً للحصول على المطلوب؛ فإذا أراد المرء طلب الولد، فلا بد من الزواج والمباشرة؛ قال تعالى: «فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ» (البقرة: ١٨٧).

وقد ساق ابن كثير عند تفسيرها قول أبي هريرة وابن عباس وأنس رضي الله عنهم وعدد من التابعين أن المقصود بقوله: «وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ» يعني الولد؛ فلا بد من الأخذ بالأسباب وعدم الاعتماد عليها؛ لأن الاعتماد عليها ينافي صحيح التوحيد؛ فكم من أسباب لم يُرد الله لها أن تُحقق المطلوب! لقد بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم أسباب الرزق في قوله صلى الله عليه وسلم: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير؛ تغدو خماصًا وتروح بطانًا»، ومن الحديث نرى أن أسباب الرزق تحصل بالسعي مع التوكل على الله؛ فالطير القادرة على الخروج من أعشاشها تخرج سعيًا على رزقها معتمدةً على ربها.

فما أحوجنا ونحن في طريقنا إلى الإصلاح ومواجهة أهل الضلال وإعراض الناس ودفاعهم عن باطلهم أن نُحسن التوكل على الله تعالى: «فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ» (التوبة: ١٢٩)!

فما أحوجنا إلى معرفة المعنى الصحيح للتوكل لنعيش حياة السعداء المطمئنين: «أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ» (الرعد: ٢٨).

فاللهم ارزقنا حسن التوكل عليك.

سورة الأحزاب

سورة الأحزاب
سورة الأحزاب

قال الله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا» **(الأحزاب: ١-٣).**

بين يدي السورة:

هكذا سُمِّيَتْ «سُورةُ الأحْزاب» في المَصاحف وكُتُب التَّفْسير والسُّنَّة. وكذلك رُوِيَتْ تسْميتُها عن ابن عبَّاس وأُبَيِّ بن كعْب-رضي الله عنهم- بأسانيد مقْبُولة. ولا يُعْرف لها اسْمٌ غيْرُه. ووجْهُ التَّسْمية أنَّ فيها ذكْر أحْزاب المُشْركين منْ قُريْش ومَنْ تحزَّب معهُمْ، أرادُوا غزْو المُسْلمين في المَدينة فردَّ الله كيْدهُمْ وكفى الله المُؤْمنين القتال. (التحرير والتنوير: ٢١/٢٤٥).

مناسبتها لما قبلها:

ووَجْهُ اتِّصالها بما قبْلها على ما قال الجلال السُّيُوطيُّ-رحمهُ الله- تشابُهُ مطْلع هذه وآخر تلْك، فإنَّ تلْك خُتمتْ بأمْر النَّبيِّ-صلى الله عليه وسلم- بالإعْراض عن الكافرين وانْتظار عذابهمْ، وهذه بدأتْ بأمْره-صلى الله عليه وسلم- بالتَّقْوى وعدم طاعة الكافرين والمُنافقين واتِّباع ما أوْحى إليْه والتَّوكُّل عليْه-عز وجل-. (روح المعاني: ١١/١٤٠).

ما اشتملت عليه:

هي سُورةٌ مدنيَّةٌ شأْنُها شأْنُ السُّور المَدنيَّة في الاهْتمام بالجانب التَّشْريعيِّ لحياة الأُمَّة

إعداد: د. عبدالعظيم بدوي

الإسْلاميَّة، وقدْ تناولتْ حياة المُسْلمين الخاصَّة والعامَّة، وخاصَّةً أمْر الأُسْرة، فشرعت الأحْكام بما يكْفُلُ للمُجْتمع السَّعادة والهناء، وأبْطلتْ بعْض التَّقاليد والعادات المَوْرُوثة، مثْل: التَّبنِّي، والظِّهار، واعْتقاد وُجُود قلْبيْن للإنْسان، وطهَّرتْ منْ رواسب المُجْتمع الجاهليِّ، ومنْ تلْك الخُرافات والأساطير المَوْهُومة الَّتي كانتْ مُتفشِّيةً في ذلك الزَّمان. (صفوة التفاسير: ٢/٥٠٩).

اسْتُفْتحت السُّورةُ الكريمةُ بتوْجيه الرَّسُول-صلى الله عليه وسلم- إلى تقْوى الله وعدم الطَّاعة للكافرين والمُنافقين، واتِّباع ما يُوحي إليْه ربُّهُ، والتَّوكُّل عليْه وحْدهُ. ثُمَّ ألْقتْ بكلمة الحقِّ والفصْل في بعْض التَّقاليد والأوْضاع الاجْتماعيَّة. ثُمَّ تحدَّثتْ عنْ نعْمة الله على المُؤْمنين، إذْ ردَّ عنْهُمْ كيْد الأحْزاب والمُهاجمين.

ثُمَّ تحدَّثتْ عنْ تخْيير أزْواج النَّبيِّ-صلى الله عليه وسلم- اللَّواتي طالبْنهُ بالتَّوْسعة في النَّفقة عليْهنَّ، بيْن متاع الحياة الدُّنْيا وزينتها، وإيثار الله ورسُوله

والدار الآخرة. وقد اخترن كلهن الله ورسوله والدار الآخرة، فارتفعت بذلك منزلتهن عند الله وعند رسوله.

كما تحدثت السورة الكريمة عن قصة زواج زينب بنت جحش رضي الله عنها من زيد بن حارثة رضي الله عنه وطلاقه إياها، وزواج النبي -صلى الله عليه وسلم- منها. كما تحدثت عن الحياة الزوجية للنبي -صلى الله عليه وسلم-، وما يحل له من النساء المؤمنات ومن يحرم عليه منهن، وحكم احتجابهن عن الأجانب في البيوت وخارجها.

ثم ختمت السورة بالحديث عن الساعة وأهوالها، وحال مكذبيها في النار، وبيان الحكمة من التكاليف الشرعية التي ائتمن الله الناس عليها: « لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا » (الأحزاب: ٧٣) (في ظلال القرآن (٦/٥٢٦-٥٣٠) باختصار وتصرف).

الأدب في نداء الرسول -صلى الله عليه وسلم-:

استفتحت السورة الكريمة بالنداء على النبي -صلى الله عليه وسلم- بلقب النبوة: « يا أيها النبي » تنويها بشأنه، وتنبيها على علو منزلته، وتعليما لأصحابه كيف يكون نداؤه، كما سبق في سورة النور: « لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا » (النور: ٦٣)، قال مجاهد وقتادة رحمهما الله: لا تدعوه باسمه كما يدعو بعضكم بعضا، يا محمد، يا ابن عبد الله، ولكن فخموه وشرفوه، فقولوا: يا نبي الله، يا رسول الله، في لين وتواضع. (معالم التنزيل: ٣/٤٣٣).

وقد تكرر هذا النداء في هذه السورة خمس مرات.

أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- بشكر الله على نعمة النبوة:

وفي ندائه -صلى الله عليه وسلم- بلقب النبوة تذكير له بنعمة الله عليه، حيث اجتباه واصطفاه وجعله نبيا رسولا « فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً » (الحجرات: ٨)، ولم يكن -صلى الله عليه وسلم- يتطلع إلى ذلك ولا يرجوه، كما قال تعالى: « وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ » (القصص: ٨٦).

حقيقة الشكر:

ونعم الله توجب الشكر، ولا يتحقق الشكر إلا بتقوى الله، كما قال تعالى: « وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » (آل عمران: ١٢٣)، فلذلك قال تعالى: « يا أيها النبي اتق الله » حتى تشكره على نعمة النبوة. ومعنى: « يا أيها النبي اتق الله » أي دم على ما أنت عليه من التقوى، واثبت عليه، وازدد منه، فإن التقوى درجات رفيعة، ومنازل عظيمة.

حقيقة التقوى:

وجماع التقوى فعل الواجبات وترك المحرمات، وقد تزداد حتى يفعل التقي المستحبات، ويترك المكروهات.

وتقوى الله هي الحاملة على الائتمار بما أمر الله به، والانتهاء عما نهى عنه، ولذلك كثيرا ما يقدم الله الأمر بها بين يدي الأوامر والنواهي، كما في هذه الآية: « يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين »، وكما في قوله تعالى: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » (البقرة: ٢٧٨)، وقوله تعالى: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا » (الأحزاب: ٧٠).

تعريف الكفر والنفاق:

فقوله تعالى: « يا أيها النبي اتق الله » توطئة لما بعده من النهي، وهو « ولا تطع الكافرين والمنافقين »، والكافرون هم الذين صرحوا بكفرهم وعداوتهم للإسلام، والمنافقون هم الذين أظهروا الإسلام والولاية له ولأهله، وأبطنوا الكفر والولاية له ولأهله، كما قال تعالى فيهم: « وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ » (البقرة: ١٤).

ومعنى النهي: «ولا تطع الكافرين والمنافقين» أي فيما يعود بوهن في الدين، وإعطاء دنية فيما بين المسلمين (إرشاد العقل السليم: ٥/ ٢٠٨).

وكانوا يدعون رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى أشياء يريدون بها في الظاهر تقريب وجهات النظر، والقضاء على الخلاف الذي بينهم وبينه -صلى الله عليه وسلم-. فنهاه الله عن ذلك، كما قال تعالى: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا» (الإنسان: ٢٣، ٢٤)، وإنما نهاه الله تعالى عن طاعتهم لأنهم أهل أهواء، وهو -صلى الله عليه وسلم- على هدى من ربه، «وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ» (القصص: ٥٠). فكيف يطيع المهتدي الضال؟! ولذلك قال تعالى لنبيه -صلى الله عليه وسلم-: «وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ» (البقرة: ١٢٠).

«إن الله كان عليما حكيما» أي له مطلق العلم والحكمة، فيعلم جميع الأشياء من المصالح والمفاسد، فلا يأمرك إلا بما فيه مصلحة، ولا ينهاك إلا عما فيه مفسدة، ولا يحكم إلا بما تقتضيه الحكمة البالغة.

وجوب اتباع الوحي:

«واتبع» أي في كل ما تأتي وتذر من أمور الدين «ما يوحى إليك من ربك» من الآيات التي من جملتها هذه الآية الآمرة بتقوى الله، الناهية عن مساعدة الكفرة والمنافقين. والأمر باتباع الوحي نهي عن اتباع غيره، وقد صرح ربنا سبحانه بذلك في قوله: «اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ» (الأعراف: ٣).

ثم حذر ربنا سبحانه من مخالفة ما أمر به أو نهى عنه، فقال تعالى: «إن الله كان بما تعملون خبيرا» فإن امتثلتم لأمره فهو بكم عليم، وسيجزيكم به، وإن لم تمتثلوا فهو بكم عليم وسيجزيكم به، كما قال تعالى: «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» (فصلت: ٤٠)، وفي الحديث عن أبي ذر عن النبي -صلى الله عليه وسلم- فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه» (صحيح مسلم: ٢٥٧٧).

الأمر بالتوكل على الله:

ولما نهى الله تعالى نبيه -صلى الله عليه وسلم- عن طاعة الكافرين والمنافقين، وكان ذلك ربما تسبب في إيذائهم له، واعتدائهم عليه، قال تعالى لنبيه -صلى الله عليه وسلم-: «وتوكل على الله» أي فوض جميع أمرك إليه «وكفى بالله وكيلا» (إرشاد العقل السليم: ٥/ ٢٠٩).

«واتبع ما يوحى إليك من ربك» فإنه هو الهدى والرحمة، وارج بذلك ثواب ربك، «إن الله كان بما تعملون خبيرا» وسيجزيكم بحسب ما يعلمه منكم، من الخير والشر. فإن وقع في قلبك، أنك إن لم تطعهم في أهوائهم المضلة حصل عليك منهم ضرر، أو حصل نقص في هداية الخلق، فادفع ذلك عن نفسك، واستعمل ما يقاومه ويقاوم غيره، وهو التوكل على الله، بأن تعتمد على ربك، اعتماد من لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا، ولا موتا ولا حياة، ولا نشورا، في سلامتك من شرهم، وفي إقامة الدين، الذي أمرت به، وثق بالله في حصول ذلك الأمر على أي حال كان.

«وكفى بالله وكيلا» توكل إليه الأمور فيقوم بها، وبما هو أصلح للعبد، وذلك لعلمه بمصالح عبده، من حيث لا يعلم العبد، وقدرته على إيصالها إليه، من حيث لا يقدر عليها العبد، وأنه أرحم بعبده من نفسه، ومن والديه، وأرأف به من كل أحد. (تيسير الكريم الرحمن: ٦/ ١٩٣و١٩٤).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

مبادئ علم التوحيد

إعداد د. عبد الله شاكر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان، وبعد:

لقد تناولنا في المقالات السابقة فضل علم التوحيد، وذلك من خلال موضوعه، ومعلومه، والحاجة إليه و ثمرته. وفي هذه المقالة والمقالات القادمة بمدد من الله وعونه نتكلم عن مسائل علم التوحيد. ولكن قبل أن نتكلم عن هذه المسائل نبين أولاً في مدخل بسيط أن الناس مفطورون على التوحيد .

(أ) التوحيد هو الأصل في البشر تاريخاً:

توحيد الألوهية هو الأصل في خلق بني آدم؛ لأن الله خلقهم موحدين، وذلك أن أباهم آدم هو أول الموحدين. وبذا يعلم أن ما يدعيه بعض الناس من علماء الاجتماع وغيرهم -مسلمين أو كفاراً- من أن الإنسان الأول -كما يقولون- قد عبد الطوطم- والمراد بالطوطم: أصل القبيلة، وهذا لا شك خطأ محض، لا دليل عليه سوى التخرص، والحكم بالظن، والظن لا يغني من الحق شيئاً، بل إنه يخالف الأدلة القطعية أيضاً من الكتاب والسنة النبوية والفطرة.

ونحن الآن نقيم الدليل على أن الأصل في البشر هو التوحيد من الناحية التاريخية، يعني: أن التاريخ على مداره يدل ويشير ويرشد إلى أن الأصل في البشر هو التوحيد.

وما زال الناس في تاريخهم الطويل، من آدم إلى نوح (عليه السلام) والتي تقدّر بعشرة قرون -على التوحيد حتى حدث ما حدث في قوم نوح من عبادة الأصنام؛ بسبب الغلو في صالحيهم، وعنهم انتشر الشرك في الناس بعدهم، وهكذا ما زالت الرسالات تترى وتتوالى، وتعيد الناس إلى العهد الأول وهو التوحيد، حتى رفع عيسى (عليه السلام) وحرِّفت شريعته، فانتشر الشرك في الأرض، بسبب تحريف الوحي وتبديله.

وأما الجزيرة العربية، فقد انقسم الناس فيها إلى أربع طوائف:

١- يهود.
٢- نصارى.
٣- مشركون.
٤- حنفاء.

ففي المدينة النبوية قطن اليهود، وفي شمال الجزيرة سكن النصارى، وكذلك في جنوبها الغربي -أي: في اليمن وما قاربها- وفي مكة كان المشركون، وانما حدث الشرك فيهم بعد أن كانوا على ملة إبراهيم موحدين، بسبب تلك الرؤيا التي أراها الشيطان عمرو بن لحي الخزاعي -والذي كان شيخ مكة، والمقدم عندهم، وكانوا لا يصدرون رأياً ولا يوردونه إلا بمشورته -والتي أعلمهم فيها- أي: الشيطان، أعلم عمرو بن لحي- بمواقع الأصنام التي طمرها الطوفان أي: طوفان قوم نوح (عليه السلام).

وقد كان في الجزيرة العربية ورقة بن نوفل الذي تنصر، وزيد بن عمرو بن نفيل الذي هام على وجهه، وعبد الله على ملة إبراهيم، وكان هؤلاء على الملة الحنيفية ملة إبراهيم (عليه السلام) وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن زيد بن عمرو بن نفيل أنه: «يبعث أمة وحده». ولم يزل حال الناس على ذلك إلى بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

ومع هذا الوضوح من الناحية التاريخية، إلا أننا نجد شبهة أثارها بعض الناس، ومفادها: أن الأصل في الإنسان أنه مشرك، وأن التوحيد طارئ عليه، وقد زعم أصحاب هذه المقولة: أن الإنسان عرف الشرك، وتعدد الآلهة أولاً، ولم يعرف عقيدة التوحيد إلا بعد أن تطورت ومرت بعدة مراحل.

ويجب علينا أن نرد عليهم في هذا المقام، وأن نبين أن التوحيد هو الأصل في البشر تاريخاً.

وذلك بالأدلة التالية:

أولاً: إن الغاية من خلق آدم (عليه السلام) وذريته هي عبادة الله وحده، كما قال تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» (الذاريات: ٥٦).

ثانياً: آدم (عليه السلام) أبو البشر، وحواء أمهم كانا على التوحيد، وحين أكلا من الشجرة، علما أن لهما رباً يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات، فتضرعا إليه قائلين: «قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ» (الأعراف: ٢٣).

ثالثاً: إن الله اصطفى آدم (عليه السلام) وشرفه بذلك، قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ» (آل عمران: ٣٣)، ولا يكون الاصطفاء لمشرك أبداً، وقد أمر ملائكته بالسجود له، كما قال (جل شأنه): «وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ» (البقرة: ٣٤).

رابعاً: إن الله عز وجل قد أخذ العهد والميثاق على بني آدم، وهم في صلب أبيهم آدم (عليه السلام) أنه ربهم، وأشهدهم على أنفسهم، كما قال ربنا سبحانه في كتابه: «وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا» (الأعراف: ١٧٢).

خامساً: إن ذرية آدم (عليه السلام) من بعده كانوا يدينون بالتوحيد الخالص طيلة عشرة قرون؛ حتى حدث الشرك في قوم نوح (عليه السلام) وعند وقوعه بعث الله تعالى إليهم نوحاً (عليه السلام(يدعوهم إلى عبادة الله وحده؛ يقول تعالى: «لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ» (الأعراف: ٥٩).

سادساً: كلما انحرفت البشرية عن التوحيد، أرسل الله الرسل تدعو إلى عبادته وحده، ونبذ ما يُعبد من دونه، كما قال تعالى مخاطباً رسوله صلى الله عليه وسلم: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ» (الأنبياء: ٢٥).

ولهذه الأمور الستة أو الأدلة البينة الواضحة، نستطيع أن نقول: إن الدليل والبرهان يؤكد أن الأصل في البشر هو التوحيد، وذلك من الناحية التاريخية.

(ب) التوحيد هو الأصل في البشر فطرة:

المراد بالفطرة هنا: أصل الخلقة، وهي ما أوجد

الله عليه الناس ابتداءً من الإيمان به عز وجل وتوحيده.

وكما كان التوحيد هو الأصل في البشر تاريخاً، فهو الأصل في البشر فطرة، للأدلة التالية:

أولاً: إن الله عز وجل منذ أوجد البشر فطرهم على التوحيد والإيمان به سبحانه خالقاً ومعبوداً، وأخذ عليهم العهد والميثاق منذ كانوا في أصلاب آبائهم. وقد ذكرنا الدليل على ذلك آنفاً.

ثانياً: إن الله عز وجل قد أمر رسوله صلى الله عليه وسلم وأمّته داخلة في الخطاب، أن يقيموا وجوههم، ويخلصوا دينهم له؛ لأن ذلك هو مقتضى الفطرة التي فطرهم رب العالمين سبحانه وتعالى عليها، قال تعالى: « فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » (الروم: ٣٠).

ثالثاً: قد أخبر مولانا عز وجل أنه خلق عباده حنفاء كلهم، موحدين، مسلمين، مستقيمين، منيبين لقبول الحق؛ لأن ذلك هو مقتضى الفطرة التي فطرهم عليها حين أخذ عليهم العهد في الذرّ. يقول الله عز وجل كما في الحديث القدسي الذي يرويه النبي صلى الله عليه وسلم: «واني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وانهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً» فالعباد كلهم مفطورون على الإسلام، والايمان الصحيح، ولكن للشياطين دور في مسخ الفطرة، وتشويهها، وجعلها تنحرف عن المسار السوي.

فإذا طرأ على الفطرة ما يصرفها عن الصواب والحق، فإنها تحتاج إلى ما يصحّح لها مسارها، ويردها عن الانحراف، وهذه مهمة الرسل عليهم الصلاة والسلام.

رابعاً: أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن كل مولود يولد مهيئاً للإسلام، وذلك في قوله: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه وينصّرانه ويمجّسانه، كما تُنْتَجُ البهيمةُ بهيمةً جَمْعَاءَ هل تحسون فيها من جَدْعَاء؟» ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه راوي الحديث: واقرءوا إن شئتم: « فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا » (الروم: ٣٠).

خامساً: إن الفطرة تدل على توحيد الألوهية؛ لأن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية؛ فمن أيقن أن الله ربه وخالقه، فلابد أن يصرف العبادة له وحده، كما قال تعالى: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » (البقرة: ٢١).

فالإنسان إذا آمن بأن الله (عز وجل)هو الخالق، الرازق، المحيي، المميت، بيده الأمر كله، واليه يرجع الأمر كله، فلا بد أن ينتهي به الأمر إلى أن المعبود بحقّ هو الله وحده دون سواه، لا شريك له؛ فيخضع قلبه له محبة، وانابة، وذلاً، وخوفاً، وخشية، وتوكلاً؛ إذ كيف يُعبد، أو يُخاف، أو يُحب محبة عبادة، أو يتوكّل على مخلوق لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً.

ولعل الضوء الوحيد الذي يكشف لنا عن حال هذه الفترة هو ما جاء في قول الله (تبارك تعالى) من سورة البقرة: « كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ » (البقرة: ٢١٣).

فالتوحيد هو الأصل، والشرك طارئ عليه، والناس كانوا أولاً على هدى قبل أن تنحرف بهم الأهواء وتزلهم الشياطين.

والحمد لله رب العالمين.

الازدواجية والظاهرة المكدرة

إعداد د. عاطف الفاروقي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن من أوجب الواجبات وألزم المهمات على المسلم: القيام بما تقتضيه شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ومن مقتضياتها: النصح لله، ولكتابه، ولرسوله، وللمسلمين جميعًا، وفي الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» من حديث تميم الداري أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «الدين النصيحة» قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم».

فإذا قام المسلم بما ينبغي عليه من أداء النصيحة، نجا، ونجت سفينة المجتمع كله من مغبات الردى، وفتن الشهوات من الرذائل والخنا. نسأل الله السلامة والعافية، وأن يعصمنا بحوله وقوته، ويوفقنا لمرضاته.

إننا بحاجة ماسَّة إلى أن نقف مع أنفسنا وقفةً مرضيةً، وأن نلبث مليًّا؛ لنتفكر في أنفسنا وأحوالنا؛ لنستيقظ من سبات نومنا، الذي طال أمده، أيقظ الله المسلمين من غفلاتهم.

وإن المتأمل في واقعنا اليوم يرى إقبالاً على الخير، بفضل الله وتوفيقه -بالرغم من مكدرات الحياة الصعبة- إلا أن في تلك المسيرة الطيبة ظاهرةً مكدرةً، تتمثل في اختلاف درجات الاستقامة وتعظيم حرمات الله وشعائر الدين؛ ففي بعض جوانب الحياة لدى فئات من المتدينين؛

بحيث تجد المرء الواحد- مثلاً- حريصًا على دعوة الآخرين، لكنه ناس نفسه، خليٌ من برّ الوالدين وصلة الرحم، أو عريٌ مما لا يسعه جهله من أحكام الشريعة، أو معنيًا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكنه سيئ الخلق، عسر التعامل، أو يبدو حريصًا على نوافل العبادات، لكنه ذو هشاشة بينة في أداء الحقوق والتعاملات المالية، أو يعرف منه محافظته على الواجبات العينية: من صلاة وصيام وصدقة، لكنه لا يشتغل بالواجبات الكفائية: كتبليغ الدين وبذل النصيحة.

وليس الحديث هنا عن وقوع العبد في زلة في هذا الجانب أو ذاك؛ نتيجة غفلة أو فتور يعتريه؛ إذ ذاك موضع للمجاهدة، وميدان للابتلاء، كما قال تعالى: « خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ » (الأعراف: ١٩٩- ٢٠٢)، وقد قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «كل ابن آدم خطاء إلا ما رحم الله». (أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان" (٢٦٩) موقوفًا على ابن عمر).

ونحن اليوم نعيش معركةً حاميةً مع الازدواجية في كثير من أجواء حياتنا إلا من رحم الله؛ يجمع فيها بين الحق والباطل، والصحيح والضعيف، والزين والشين.

نجد ازدواجيةً وانفصامًا للشخصية عجيبًا؛ ترى شخصًا غيَّر وبدَّل، ويُعلق على صدره سلسلةً، وقد تلبس بأسورة في يده متشبهًا بالمرأة. وترى آخر يعتاد المساجد، وشاربه يجر على شفتيه طويلاً. ترى المرأة الكاسية العارية، وهي تمسك بالسبحة تسبح وتستغفر، وتقول: هذه نقرة، وهذه نقرة، وترى أخرى تمازح الرجال وتضاحكهم، وإذا بها تظهر لك العبودية والذكر لله تعالى.

وترى هذا يأكل أموال الناس بالباطل، ثم يقول: إني أخاف الله. متشبهًا بالشيطان الرجيم، كما ذكر الله عنه، قوله: «إني أخاف الله رب العالمين».

إن الازدواجية نوع من النفاق، فصاحبها فيه تشبُّه بالمنافقين، بل هو منهم بقدر ما فيه من خصالهم، وتلونهم، وقد جاء في حديث أبي هريرة، مرفوعًا: "تجدون شر الناس ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه، ويأتي هؤلاء بوجه". (أخرجه البخاري ٣٤٩٤، ٦٠٥٨، ومسلم: ٢٥٢٦).

قال ابن القيم رحمه الله في "بدائع الفوائد": إن لله على العبد عبوديتين: عبودية باطنة، وعبودية ظاهرة، فله على قلبه عبودية، وعلى لسانه وجوارحه عبودية، فقيامه بصورة العبودية الظاهرة مع تعريه عن حقيقة العبودية الباطنة، مما لا يقربه إلى ربه، ولا يوجب له الثواب وقبول عمله، فإن المقصود: امتحان القلوب، وابتلاء السرائر؛ فعمل القلب هو روح العبودية ولبّها، فإذا خلا

عمل الجوارح منه كان كالجسد الموات بلا روح.

والنية: هي عمل القلب الذي هو ملك الأعضاء، والمقصود بالأمر والنهي، فكيف يسقط واجبه ويعتبر واجب رعيته وجنده وأتباعه، اللاتي إنما شرعت واجباتها لأجله ولأجل صلاحه، وهل هذا إلا عكس القضية وقلب الحقيقة.

والمقصود بالأعمال كلها ظاهرها وباطنها: إنما هو صلاح القلب وكماله وقيامه بالعبودية بين يدي ربه وقيومه وإلهه، ومن تمام ذلك: قيامه هو وجنوده في حضرة معبوده وربه، فإذا بعث جنوده ورعيته وتغيب هو عن الخدمة والعبودية، فما أجدر تلك الخدمة بالرد والمقت، وهذا مثل في غاية المطابقة.

وهل الأعمال الخالية عن عمل القلب إلا بمنزلة حركات العابثين، وغايتها أن لا يترتب عليها ثواب ولا عقاب.

ولما رأى بعض أرباب القلوب طريقة هؤلاء انحرف عنها إلى أن صرف همَه إلى عبودية القلب، وعطل عبودية الجوارح، وقال: المقصود قيام القلب بحقيقة الخدمة، والجوارح تبع.

والطائفتان متقابلتان أعظم تقابل: هؤلاء لا التفات لهم إلى عبودية جوارحهم ففسدت عبودية قلوبهم، وأولئك لا التفات لهم إلى عبودية قلوبهم ففسدت عبودية جوارحهم.

والمؤمنون العارفون بالله وبأمره قاموا له بحقيقة العبودية ظاهرًا وباطنًا وقدموا قلوبهم في الخدمة، وجعلوا الأعضاء تبعًا لها، فأقاموا الملك وجنوده في خدمة المعبود، وهذا هو حقيقة العبودية.

ومن المعلوم: أن هذا هو مقصود الرب تعالى بإرساله رسله وانزاله كتبه وشرعه شرائعه، فدعوى المدّعي أن المقصود من هذه العبودية حاصل وان لم يصحبها عبودية القلب، من أبطل الدعاوى وأفسدها.

ومن تأمل الشريعة في مصادرها ومواردها؛ علم ارتباط أعمال الجوارح بأعمال القلوب، وأنها لا تنفع بدونها، وأن أعمال القلوب أفرض على العبد من أعمال الجوارح، وهل يميز المؤمن عن المنافق إلا بما في قلب كل واحد منهما من الأعمال التي ميزت بينهما، وهل يمكن أحد الدخول في الإسلام إلا بعمل قلبه قبل جوارحه، وعبودية القلب أعظم من عبودية الجوارح وأكثر وأدوم، فهي واجبة في كل وقت، ولهذا كان الإيمان واجب القلب على الدوام، والإسلام واجب الجوارح في بعض الأحيان، فمركب الايمان: القلب. ومركب الإسلام: الجوارح. انتهى كلامه رحمه الله.

وهو كلام قيم غاية في البيان والتحقيق.

فنعوذ بالله من النفاق والرياء، ونعوذ به من الحور بعد الكور.

وكفانا ووقانا شر أنفسنا، ونعوذ به سبحانه أن نرجع على أعقابنا، أو أن نُفتن في ديننا.

رزقنا الله الإخلاص في القول والعمل، وفي السر والعلن، وجعل باطننا خيرًا من ظاهرنا، بمنه وكرمه.

طريقة القرآن البديعة في عرض موضوعاته من خلال سوره وآياته

إعداد: أ. د محمد حامد
الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ: فإن القرآن الكريم يعرض موضوعاته بطريقة بديعة تختلف عن طرائق الكُتَّاب والمؤلفين؛ إذ إنهم يُقَسِّمون مؤلفاتهم لأبواب وفصول ومباحث ينتظم كل باب وما يشتمل عليه منها في فكرة معينة، وينحصر في موضوع خاص، ولكنَّ القرآن الكريم جاء تقسيمه إلى سور، وكلُّ سورة تضمُّ مجموعة من الآيات تتعدد موضوعاتها ما بين عقيدة وتشريع وأخلاق، ومع ذلك ترى تناسقًا عجيبًا، وارتباطًا مُحكمًا تتعانق فيه معانيه، وتتلاحم معه أهدافه، ولا غرو أن كانت هذه الطريقة لونًا من ألوان إعجازه، ودليلاً على أنه تنزيل من حكيم حميد.

وقد تفطَّن العلماء لذلك فاعتنوا بالبحث في طريقة القرآن ومنهاجه في ترتيبه لسوره وآياته فكتبوا في علم المناسبات، ومقاصد السور، والوحدة للموضوعية للسور القرآنية إلى غير ذلك مما تقرّ به العين، وتنشرح له الصدر.

قال أبو بكر ابن العربي المالكي في كتابه سراج المريدين (٤/١٤٤): "إن ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم".

وقال فخر الدين الرازي في تفسيره (١١٠/١٠): "أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط".

وبالرغم من هذا كله فقد عابت طائفة من الناقمين على القرآن الكريم، والجاهلين بأنه تنزيل من حكيم حميد ما فيه من تفرُّق موضوعاته وتوزيعها، وعدم اجتماعها في نَسَق مُرتَّب يُعرَض فيه الموضوع تلو الآخر بحيث يكون لكل منها نصيب من السور القرآنية حتى يكتمل الحديث عنه ثم يُنتقل إلى غيره كما هي طريقة مؤلفات الناس ومصنفاتهم في تقسيمها.

والجواب عن ذلك يتحقق من جانبين:

عدم التسليم بأن القرآن غير منظَّم ولا مُرتَّب.

ذكر بعض أسرار توزيع الموضوعات القرآنية وتفرُّقها بين آيات القرآن وسوره.

أما الجانب الأول وهو: عدم التسليم بأن القرآن غير

منظّم ولا مُرتّب فبيانه أن القرآن الكريم نزل مُفرّقًا بحسب الوقائع والأحداث، ثم رُتّب على هذا النمط الذي نقرؤه، وله فاتحة كمقدمة الكتب، وهي سورة الفاتحة المذكورة في أوله، وله سور كأبواب الكتب، ولو لم يكن ترتيب القرآن على خلاف أزمنة نزوله لأجل وضع الآية بجانب ما يناسبها من الآيات، لكان العدول عن ترتيبه على أزمنة نزوله إلى هذا الترتيب خاليًا من الحكمة، وهذا مُحال الله تعالى، ومن نازع في ذلك فهو ينازع في وصف الله بالحكمة ذلك، وهذا له حديث آخر (ينظر: النظم الفني في القرآن - عبد المتعال الصعيدي ص٣-٤).

ومن لطيف ما قيل في ذلك قول ولي الله الملوي كما نقله عنه السيوطي في الإتقان (٣٧٩/٣) أن القرآن الكريم نزل "على حسب الوقائع تنزيلاً وعلى حسب الحكمة ترتيبًا وتأصيلاً".

أضف إلى ذلك أن الترتيب له طرق، والواقع أن كل سورة من سور القرآن الكريم تعالج مقصودًا كليًا يضم كل أجزائها ومقاطعها في تناسب بديع، وترابط عجيب، وهذا نوع من الترتيب بحسب المقاصد فلا وجه للإنكار، والحمد لله رب العالمين.

ولله درُّ الشيخ د. محمد دراز حين قال في كتابه النفيس (النبأ العظيم صـ١٨٨): "إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجّمة يحسبها الجاهل أضغاثًا من المعاني حُشيَت حشوًا، وأوزاعًا من المباني جمعت عفوًا؛ فإذا هي -لو تُدُبِّرَت- بنية متماسكة قد بُنيت من المقاصد الكلية على أسس وأصول، وأُقيم على كل أصل منها شُعَب وفصول، وامتد من كل شعبة منها فروع تقصر أو تطول؛ فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنية في بنيان واحد قد وضع رسمه مرة واحدة، لا تحس بشيء من تناكر الأوضاع في التقسيم والتنسيق، ولا بشيء من الانفصال في الخروج من طريق إلى طريق، بل ترى بين الأجناس المختلفة تمام الألفة، كما ترى بين آحاد الجنس الواحد نهاية التضامّ والالتحاق. كل ذلك بغير تكلفة ولا استعانة بأمر من خارج المعاني أنفسها، وإنما هو حسن السياقة ولطف التمهيد في مطلع كل غرض ومقطعه وأثنائه، يُريك المنفصل متصلاً، والمختلف مؤتلفًا.

ولماذا نقول: إن هذه المعاني تنتسق في السورة كما تتسق الحُجُرات في البنيان؟ لا، بل إنها لتلتحم فيها كما تلتحم الأعضاء في جسم الإنسان، فبين كل قطعة وجارتها رباطٌ موضعي من أنفسهما، كما يلتقي العظمان عند المفصل ومن فوقهما تمتد شبكة من الوشائج تحيط بهما عن كثب، كما يشتبك العضوان بالشرايين والعروق والأعضاء؛ ومن وراء ذلك كله يسري في جملة السورة اتجاه معين، وتؤدي بمجموعها غرضًا خاصًا، كما يأخذ الجسم قوامًا واحدًا، ويتعاون بجملته على أداء غرض واحد، مع اختلاف وظائفه العضوية...".

وأما الجانب الآخر فيكون بذكر بعض أسرار توزيع الموضوعات والمقاصد القرآنية وتفرقها بين آيات القرآن وسوره.

ودونك بعض هذه الأسرار: **مجيء القرآن بهذه الطريقة هو المناسب لحال المخاطبين ابتداءً به.**

وبيان ذلك أن هؤلاء المخاطبين بالقرآن ابتداء قوم لم يسبق لهم عهد بالتعليم والتشريع، لم يعتادوا الأساليب التدريسية، أو الأمالي العلمية، وإنما كانت عادتهم الخطابة والمقاولة، والقرآن جمع بين كونه دعوة، وموعظة، وتعليمًا، وتشريعًا باقيًا، ومعجزة.

وأسلوب المواعظ والدعوة قريب من أسلوب الخطابة، والقرآن لذلك لا يأتي على أساليب الكتب المؤلفة للعلم، أو القوانين الموضوعة للتشريع، فأودعت العلوم المقصودة منه في تضاعيف الموعظة والدعوة، وكذلك أودع فيه التشريع، ولا شك أن في

هذا تخفيفًا وتيسيرًا على المتلقين (ينظر: التحرير والتنوير ٣/١٥٧).

تحقيق الانتفاع بهدايات القرآن في شتى الجوانب لكل من حفظ أو تلا قليلاً من القرآن الكريم أو كثيرًا

من فضل الله على عباده أن السورة الواحدة وإن كانت قصيرة تحوي كثيرًا من الهدايات والإرشادات في المجالات المختلفة، فيحصل بسبب ذلك "التعبد به واستفادة كل حافظ للقليل من سوره كثيرًا من مسائل الإيمان والفضائل والأحكام والحِكم المنبثة في جميع السور" (تفسير المنار ١١/١٦٣).

شحذ همم حمَلة هذه الشريعة، وعلماء هذه الأمة للتنقيب والبحث، واستخراج المقاصد من عويصات الأدلة، حتى تكون طبقات علماء الأمة صالحة -في كل زمان- لفهم تشريع الشارع ومقصده من التشريع، فيكونوا قادرين على استنباط الأحكام التشريعية، ولو صيغ لهم التشريع في أسلوب سهل التناول لاعتادوا العكوف على ما بين أنظارهم في المطالعة الواحدة. من أجل هذا كانت صلوحية عباراته لاختلاف منازع المجتهدين، قائمة مقام تلاحق المؤلفين في تدوين كتب العلوم، تبعًا لاختلاف مراتب العصور (التحرير والتنوير ٣/١٥٨).

تجديد النشاط، ودفع السآمة والملل التي تقع للإنسان نتيجة اشتغاله بأمر واحد لا ينظر في غيره، ولا يتعلم سواه.

والحق أن من فوائد نظم القرآن وأسلوبه الذي أنزله به رب العالمين العليم الحكيم، الرحيم مَزْج تلك الموضوعات والمقاصد كلها بعضها ببعض، وتفريقها في السور الكثيرة، الطويلة منها والقصيرة، بالمناسبات المختلفة، وتكرارها بالعبارات البليغة المؤثرة في القلوب، المحرِّكة للشعور، النافية للسآمة والملل، وهذه عادة من عادات القرآن في تفنُّن أساليبه تنشيطًا للمخاطبين والسامعين والقارئين ومن بلغ (ينظر: تفسير المنار ١١/١٦٣، والتحرير والتنوير ٢/٣٣٨).

قال ابن عاشور في تفسيره (٢/٣٨٨): "عادة القرآن في إبداع الأحكام وإلقائها بأسلوب سهل لا تسأم له النفس، ولا يجيء على صورة التعليم والدرس".

تربية العباد بما يُصلحهم في جميع الجوانب، وتذكيرهم بذلك بين الفينة والأخرى

وبيان ذلك أن القرآن الكريم كما ذكر رشيد رضا في تفسير المنار (١١/١٧١) "كتاب تربية عملية وتعليم، لا كتاب تعليم فقط، فلا يكفي أن يذكر فيه كل مسألة مرة واحدة واضحة تامة كالمعهود في كتب الفنون والقوانين"، وإنما يتكرر التذكير بهذا المقصد في مناسبات مختلفة؛ ليستقيم عليه، ويكون منه على بال في كل حال.

المزج بين الأحكام والترغيب والترهيب ودلائل قدرة الله كبريائه أقرب في التأثير، وأنفع في القبول، وتلقي التكاليف بالتسليم

قال فخر الدين الرازي في تفسيره (١١/٢٣٢-٢٣٣): "عادة الله في ترتيب هذا الكتاب الكريم وقع على أحسن الوجوه، وهو أنه يذكر شيئًا من الأحكام، ثم يذكر عقيبه آيات كثيرة في الوعد والوعيد والترغيب والترهيب، ويخلط بها آيات دالة على كبرياء الله وجلال قدرته وعظمة إلهيته، ثم يعود مرة أخرى إلى بيان الأحكام، وهذا أحسن أنواع الترتيب وأقربها إلى التأثير في القلوب؛ لأن التكليف بالأعمال الشاقة لا يقع في موقع القبول إلا إذا كان مقرونًا بالوعد والوعيد، والوعد والوعيد لا يؤثر في القلب إلا عند القطع بغاية كمال من صدر عنه الوعد والوعيد، فظهر أن هذا الترتيب أحسن الترتيبات اللائقة بالدعوة إلى الدين الحق".

هذه بعض أسرار مجيء موضوعات القرآن الكريم ومقاصده مُوزَّعة في القرآن ممزوجًا بعضها ببعض، وما من شك أن المتدبر للقرآن الكريم سيجد أسرارًا أخرى، ولله الحمد والمنة.

شفاعة الجنة والنار

إعداد د. جمال المراكبي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَن سأل اللهَ الجنَّة ثلاث مرَّاتٍ قالت الجنَّةُ: اللهمَّ أدخلهُ الجنَّة. ومنِ استجارَ منَ النَّار ثلاث مرَّاتٍ قالتِ النَّارُ: اللهمَّ أجِرْهُ منَ النَّارِ".

أخرجه أحمد والترمذي وصححه الألباني.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما استجار عبدٌ من النار سبع مرات في يوم؛ إلا قالت النار: يا رب إن عبدك فلانًا قد استجارك مني فأجِره، ولا يسأل الله عبدٌ الجنة في يوم سبع مرات؛ إلا قالت الجنة: يا رب إن عبدك فلانًا سألني فأدخله الجنة.

قال الألباني في "السلسلة الصحيحة": "أخرجه أبو يعلى في "مسنده" والضياء في "صفة الجنة. وقال الضياء: هذا الحديث عندي على شرط الصحيحين". وقال ابن القيم في حادي الأرواح: إسناده على شرط الصحيحين".

وعن الحارث بن مسلم عن أبيه مسلم بن الحارث التميمي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أسر إليه فقال: "إذا انصرفت من صلاة المغرب، فقل: اللهم أجرني من النار سبع مرات؛ فإنك إذا قلت ذلك ثم متّ في ليلتك كُتبَ لك جوار منها، وإذا صليت الصبح فقل كذلك فإنك إن مت في يومك كُتبَ لك جوار منها. قال الحارث: أسرَّها إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنحن نخصّ بها إخواننا.

رواه أحمد وأبو داود واللفظ له، والحديث مختلف في إسناده، حسنه ابن حجر، وضعفه الألباني، وابن القطان وجوّد اسناده ابن باز، وكأني بمن حسّنه وجوّد إسناده قد راعى أنه في فضائل الأعمال.(فالحديث ضعيف)

الشرح والتوضيح:

حثنا المولى تبارك وتعالى على طلب الجنّة والعمل من أجلها والفوز بنعيمها. وبيّن أنّ ذلك لا يكونُ إلاّ بالايمان بالله والمسارعة في الخيرات والاجتهاد في أعمال الطّاعات، وسؤال الله والطّلب منه لننال رحمة الله ونفوز بها.

وحثنا كذلك على الاستعاذة به سبحانه من النار؛ كي يجيرنا الله عز وجل منها؛ قال الله تعالى: « وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (١٣١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٣٢) ۞ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ » (آل عمران: ١٣١- ١٣٣).

وفي آيات الذكر الحكيم: « رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ » (البقرة ٢٠١). وقد مدح الله عز وجل الداعين بها فقال: « أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ » (البقرة: ٢٠٢).

ولقد كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار" متفق عليه.

وكذلك أثر عن الصحابة أن منهم من كان يردد هذا الدعاء، ويكثر منه مثل أنس بن مالك ، وعبد الله بن عمر، والمبشر بالجنة عبد الرحمن بن عوف، والآثار عنهم في ذلك مشهورة.

وقال الله تعالى: « الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ » (آل عمران: ١٦):

بعد أن ذكّرنا ربنا-جل وعلا- بزينة الحياة الدنيا وزخرفها، وأنها مجرد متاع في الدنيا، وأن ما عند الله في الجنة أتم وأبقى وأكمل للمتقين « زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ » (آل عمران: ١٤- ١٥).

ثم وصف هـؤلاء العباد المتقين الموفقين بأنهم « الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ »؛ قال ابن جرير: قل هل أنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا، الذين يقولون: ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار.

ومعنى قوله: « الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا »: الذين يقولون: إننا صدقنا بك وبنبيك وما جاء به من عندك. « فاغفر لنا ذنوبنا »: يقول: فاستر علينا ذنوبنا، بعفوك عنها، وتركك عقوبتنا عليها، « وقنا عذاب النار»، ادفع عنا عذابك إيانا بالنار. وإنما معنى ذلك: لا تعذبنا يا ربنا بالنار. وإنما خصّوا المسألة بأن يقيهم عذاب النار؛ لأن من زُحزح يومئذ عن النار وأدخل الجنة فقد فاز بالنجاة من عذاب الله، وحسُن مآبه". انتهى

قال السعدي: "توسلوا بمنة الله عليهم بتوفيقهم للإيمان أن يغفر لهم ذنوبهم، ويقيهم شر آثارها، وهو عذاب النار".

وقال الله تعالى: « الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ » (آل عمران: ١٩١).

وصف الله جل ثناؤه: "أولي الألباب" بأنهم يذكرون الله في كل أحوالهم قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم، وهذا يشمل جميع أنواع الذكر بالقول والقلب، وأنهم « يتفكرون في خلق السماوات والأرض» ليستدلوا بها على المقصود منها، فالتفكر عبادة من عبادات أولياء الله، فإذا تفكروا بها، عرفوا أن الله لم يخلقها عبثًا، فيقولون: « ربنا ما خلقت هذا باطلاً ». فسبحانك ، عن كل ما لا يليق بجلالك، بل خلقتها بالحق وللحق، مشتملة على الحق. « فقنا عذاب النار» بأن تعصمنا من السيئات، وتوفقنا

للأعمال الصالحات، لتنال بذلك النجاة من النار.

ويتضمن ذلك سؤال الجنة؛ لأنهم إذا وقاهم الله عذاب النار حصلت لهم الجنة، ولكن لما قام الخوف بقلوبهم، دعوا الله بأهم الأمور عندهم أن يُجيرهم من عذاب النار.

وفي هذا الحديث يقولُ النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلَم: "مَن سأل اللهَ الجنةَ ثلاث مرَّات"؛ أي: مَن دعا الله طالبًا الجنةَ مُلحًا في طلبه هذا.

"قالت الجنَّةُ: اللَّهمَّ أدخلْه الجنَّةَ"؛ أي: اللَّهمَّ استجبْ له وأجبْ دُعاءه وأدخله الجنَّةَ.

"ومن استجار منَ النَّارِ ثلاثَ مرَّاتٍ"؛ أي: ومَن استعاذَ باللهِ ودعا اللهَ سائلاً، وكرَّرَ الدُّعاءَ ثلاثَ مرَّاتٍ أن يُنجِّيه منَ النَّار.

تكلَّمتِ النَّارُ بعدما سمعتِ العبدَ يدعو اللهَ أن يُنجِّيه منها: "قالتِ النَّارُ: اللَّهمَّ أجِرْه منَ النَّار"؛ اللَّهمَّ استجِبْ له وأجِبْ دُعاءه وأنجِه من النَّار وأعِذه منها.

وفي الحديث الآخر: سبع مرات. وهذا على سبيل الإلحاح في الدعاء؛ فالواجب على المؤمن الفطن ألا يغفل عن ذكر ربه عز وجل، وكذلك ذكر الموت وما بعده من الجنة والنار.

ويعلم أن الجنة أقرب إليه من شراك نعله، وأن النار أقرب إليه من شراك نعله، وأن يكثر من الدعاء ملحًا على ربه عز وجل أن ينجيه من عذاب النار، وأن يُدخله الله الجنة مع السابقين المقربين في الفردوس الأعلى بمنه وكرمه؛ فإن من يدخله الله النار فقد أخزاه الله بظلمه لنفسه، وما للظالمين يومئذ من أنصار.

مما يستفاد من الحديث:

في الحديث حث على سُؤال الله الجنَّة والاستعاذة بالله من النَّار، وبيانُ توسل الجنَّة والنَّار ودُعائهما للمُسلم باستجابة دُعائه. وهذه شفاعة ما أعظمها أن تشفع لك الجنة لتدخلها بمنه وفضله ورحمته، وتشفع لك النار لينجيك الله منها بعفوه سبحانه ومغفرته.

قال المباركفوري في "تحفة الأحوذي بشرح سنن الترمذي": "مَنْ سأَلَ اللَّه الْجَنَّة بأنْ قال: اللَّهُمَّ إنِّي أسالكَ الْجَنَّة، أوْ قال اللَّهُمَّ أدْخلْني الْجَنَّة، وكَرَّرهُ في مجالس أوْ مَجْلس بطريق الإلْحاح على ما ثبت أنّهُ منْ آداب الدُّعاء. ومَنْ اسْتجار منْ النَّار بأنْ قال: اللَّهُمَّ أجرْني منْ النَّار؛ قالت النَّارُ: اللَّهُمَّ أجرْهُ أيْ احْفظْهُ أوْ أنْقذْهُ منْ النَّار؛ أيْ منْ دُخوله فيها أوْ خُلوده فيها.

وجُلّ دعاء النبي صلَى اللهُ عليه وسلَم يدور حول هذا؛ سؤال الله عز وجل الجنة والتعوذ به سبحانه من عذاب النار، ولهذا قال صلَى اللهُ عليه وسلَم: "حولها ندندن".

أخرج أبو داود عن أبي صالح عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قال لرجلٍ: "ما تقولُ في الصَّلاة". قال: أتشهَّدُ ثم أقولُ: اللهم إني أسألُك الجنَّة، وأعوذُ بك من النَّار، ولا أُحسنُ دَنْدنتك ولا دَنْدنة مُعاذ، قال: "حولَها نُدندن". (صححه الألباني)

وروى ابن ماجه في سننه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل: ما تقول في الصلاة؟ قال: أتشهد ثم أسأل الله الجنة، وأعوذ به من النار، أما والله ما أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ. فقال: حولها ندندن.

وقولُه عليه الصلاة والسلام: حَولَها نُدَنْدِن، أي هذا الذي نطلُبُه.

قال في لسانِ العرب: الدَّندنةُ أن تسمعَ من الرَّجُل نغْمةَ ولا تَفهم ما يقول، وقيل الدَّندنةُ الكلامُ الخَفي. وفي شرح سنَن ابن ماجه: الدَّندنة الصوتُ

الحلقة ٣

غزوة أحد

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم. أما بعد: فما زلنا في الحديث عن غزوة أحد، وقد ذكرنا قبل ذلك: أن عبد الله بن أبي رجع بثلث الجيش، وهنا يدور في الذهن سؤال وهو: هل تأثر أحد من المسلمين بهذا الموقف المخزي من ذلك المنافق أم لا؟

إعداد د. سيد عبد العال
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف

والجواب: نعم؛ فقد تأثر بنو سلمة وبنو حارثة بموقف المنافقين، ولكن تولاهم الله؛ حيث إنه لمّا رجع ابنُ سلول وأصحابُه همّت بنو سلمة وبنو حارثة بالرُّجوع، فعصمهما الله سبحانه وتعالى وثبّتهما، ولحقتا بالرّسول-صلى الله عليه وسلم-؛ فعنْ جابر-رضي الله عنه- قال: نزلتْ هذه الآية فينا: «إذْ همّتْ طائفتان منْكُمْ أنْ تفْشلا» بني سلمة وبني حارثة، وما أحبُّ أنّها لمْ تنْزل، والله يقول: «والله وليُّهما». صحيح البخاري (٤٠٥١).

قال ابن حجر: فلمّا رجع عبْدُ الله سقط في أيْدي طائفتيْن من المؤْمنين، وهُما بنُو حارثة وبنُو سلمة. (فتح الباري: ٣٤٦/٧).

وقال-أيضا-: الْفشلُ-بالْفاء والْمُعجمة- الْجُبْنُ، وقيل: الْفشلُ في الرّأْي الْعجْزُ، وفي الْبدن الْإعْياءُ، وفي الْحرْب الْجُبْنُ، والْوليُّ النّاصرُ.

وقوْلُهُ "نزلتْ هذه الآيةُ فينا" أيْ: في قوْمه بني سلمة، وهُمْ من الْخزْرج، وفي أقاربهمْ بني حارثة، وهُمْ من الْأوْس قوْلُهُ "وما أُحبُّ أنّها لمْ تنْزلْ" والله يقُولُ «والله وليُّهُما» أيْ: وإنّ الآية، وإنْ كان في ظاهرها غضٌّ منْهُمْ لكنْ في آخرها غاية الشّرف لهُم؛ قال ابن إسْحاق: قوْلُه «والله وليُّهما» أي: الدّافعُ عنْهُما ما همُّوا به من الْفشل؛ لأنّ ذلك كان منْ وسْوسة الشّيْطان منْ غيْر وهْن منْهُمْ. فتح الباري (٣٥٧/٧).

وهذا يبين لنا أمورا عظيمة:

الأول: خطر النفاق.

الثاني: أهمية تقوية الإيمان، والعمل على زيادته بكل عمل صالح مع سلامة المعتقد؛ فهو سبب لحفظ الله العبد من السوء الذي يهمّ به؛ فلولا إيمانهم الصادق، وعملهم الصالح، وقصدهم الخير، لما كانوا من أولياء الله الذين دفع عنهم الهم السيئ؛ فتأمل خذلان الله للمنافقين عقوبة لهم، وحفظه للمؤمنين، وتوليه لهم جزاء لهم، ومن القواعد المقررة في الشريعة: أن "الجزاء من جنس العمل".

الثالث: أن هاتين الطائفتين من أولياء الله فلا يخطر ببالك قدْح في الصحابة؛ لأن الذي في آخر الآية ثناء، ومدح عظيم على الطائفتين اللتين همتا بالفشل، ووجهه: هو أن الآية ناطقة مفصحة بأن الله وليهم، وأن تلك الهمّة التي هموها ما أخرجتهم من ولاية الله تعالى، وفي هذا من الشرف العظيم لهاتين الطائفتين ما لا يعلمه إلا الله، ولذلك قال جابر: "وما أُحبُّ أنّها لمْ تنْزلْ"، وحُقّ لجابر-رضي الله عنه- أن يُسرّ، ويفرح بالتنويه بهذه المنقبة

العظيمة؛ لأن ولاية الله لا يظفر بها إلا المؤمنون والصالحون من عباده. (عقيدة أهل السنة في الصحابة: ١/ ١٨٤).

وهذا موقف يتجلى فيه تربية صادقة:

عن ابن عُمر رضي الله عنهما: "أنه قال عُرضتُ على النبي صلى الله عليه وسلم يوم أُحد، وأنا ابنُ أربع عشرة سنة، فلم يُجزني ثم عرضني يوم الخندق، وأنا ابن خمس عشرة سنة، فأجازني" (صحيح البخاري: ٢٦٦٤).

ويرى في بعضهم الأهلية للقتال؛ فيجيزه؛ وكان ممن أجاز سمرة بن جندب، ورافع بن خديج، ولهما خمس عشرة سنة، وكان ممن رد يومئذ أسامة بن زيد بن حارثة، وأسيد بن ظهير، والبراء بن عازب، وزيد بن أرقم، وزيد بن ثابت.... ثم أجازهم يوم الخندق.

ونلحظ: أن المجتمع الإسلامي يضج بالحركة، ويسعى للشهادة شيبًا، وشبابًا، وحتى الصبيان يقبلون على الموت ببسالة، ورغبة في الشهادة، تبعث على الدهشة، دون أن يجبرهم قانون التجنيد، أو تدفع بهم قيادة إلى ميدان القتال، وهذا يدل على أثر المنهج النبوي الكريم في تربية شرائح الأمة المتعددة على حب الآخرة والترفع عن أمور الدنيا. (السيرة النبوية للصلابي: ٤٨٠).

تصور عام مختصر:

وفي صبيحة يوم السَّبت الخامس عشر من شوال عبأ رسُول-صلى الله عليه وسلم- أصحابه للقتال، وأخذ يُسوي صُفوفهم، وعلى خيل المُشركين وهي مائة فرس: خالدُ بنُ الوليد، وليس مع المُسلمين فرس، وصاحبُ لواء المُشركين طلحة بنُ عُثمان، وظاهر صلى الله عليه وسلم يومئذ بين درعين، أي: لبس درعين أحدهما فوق الآخر. (صحيح سنن أبي داود: ٢٥٩٠).

وقد جعل رسُول الله-صلى الله عليه وسلم- على الميمنة: المُنذر بن عمرو-رضي الله عنه-، وعلى الميسرة: الزُّبير بن العوام-رضي الله عنه- يُسانده: المقداد بنُ عمرو-رضي الله عنه-. وكان للزُّبير-رضي الله عنه- مهمة أخرى، وهي الصمود في وجه فرسان خالد بن الوليد، وفي هذا نزل قوله تعالى: «وإذْ غدوتَ من أهلك تُبوِّئُ المُؤمنين مقاعد للقتال والله سميعٌ عليمٌ»، وكان أول من برز من المشركين يومئذ أبو عامر الراهب، الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم: بالفاسق عدو الله وعدو رسول الله صلى الله عليه وسلم، مات كافرًا، ومن العجيب أنه والد حنظلة رضي الله عنه غسيل الملائكة الكرام يوم أُحد.

وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: لقينا المُشركين يومئذ وجعل النبيُّ صلى الله عليه وسلم على الرَّجالة جيشًا من الرُّماة يوم أُحد، وكانوا خمسين رجلًا وأمر عليهم عبد الله بنَ جُبير، فقال: "إنْ رأيتُمونا تخطفنا الطيرُ فلا تبرحُوا مكانكم، هذا حتى أرسل إليكُم، وإنْ رأيتُمونا هزمنا القوم وأوطأناهم؛ فلا تبرحُوا حتى أرسل إليكُم"؛ وكان صاحبُ لواء المُسلمين مُصعبُ بنُ عُمير فبارز طلحة بنَ عُثمان فقتله، وحمل المُسلمون على المُشركين حتى أجهضوهُم عنْ أثقالهمْ وحملتْ خيلُ المُشركين فنضحتهُم الرُّماة بالنَّبل ثلاث مرَّات.

قال البراء: فلما لقينا هزموهم وهربُوا حتى رأيتُ النساء يشتددن في الجبل، قال: فأنا والله رأيتُ النساء يشتددن، قد بدتْ خلاخلهُن وأسوقهُن، رافعات ثيابهُن، فقال أصحابُ عبد الله بن جُبير: الغنيمة أي قوم الغنيمة، ظهر أصحابُكم! فما تنتظرُون؟ فقال عبدُ الله بنُ جُبير: أنسيتم ما قال لكُم رسُول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالوا: والله لنأتينَّ النَّاس! فلنُصيبنَّ من الغنيمة! فلما أتوهُمْ صُرفتْ وُجُوهُهُم، فأقبلوا مُنهزمين.

(فتركوا مكانهُم ودخل العسكرُ فأبصر ذلك خالدُ بنُ الوليد ومنْ معهُ؛ فحملوا على المُسلمين في الخيل؛ فمزَّقوهُم وثبت نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم حين انكشفوا عنهُ). فذاك إذ يدعوهُم الرسُول في أخراهُم، فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم

غَيْرُ اثْنَيْ عشر رجلاً. قال البراء: فأصابوا منا سبْعين. وكان النبيُّ صلى الله عليه وسلم وأصحابُه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة: سبْعين أسيرًا وسبْعين قتيلا. (وهُم يظنُون: أنهم أصابوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم وأشراف أصحابه فقال أبو سُفيان يفتخرُ بآلهته) أَفِي القوم محمدٌ؟ ثلاث مرَّات؛ فنهاهُمُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: أن يُجيبُوهُ. ثم قال: أَفِي القوْم ابْنُ أبي قُحافة؟ ثلاث مرَّات. ثمَّ قال: أَفِي القوم ابنُ الخطّاب؟ ثلاث مرَّات.

ثُمَّ رجع إلى أصحابه: فقال: أمَّا هؤلاء، فقد قُتلوا، فما ملك عُمرُ نفسهُ. فقال: كذبْت والله يا عدُوَّ الله، إنَّ الذين عددْت لأحياءٌ كُلُّهُمْ. وقد بقي لك ما يسُوءُك. قال: يومٌ بيوم بدر، والحرْبُ سجال؛ فقال عُمرُ: لا سواء. قتْلانا في الجنَّة، وقتْلاكُم في النَّار. قال: إنَّكم لتزْعُمون ذلك. لقد خبْنا إذنْ وخسرْنا.

ثُمَّ قال أبو سُفيان: إنكُمْ ستجدُون في القوم مُثْلة، لم آمُرْ بها ولم تسُؤْني. (وفي رواية أحمد: ولم يكنْ ذاك عنْ رأي سراتنا. قال: ثمَّ أدْركتْهُ حميةُ الجاهليَّة. قال: فقال: أما إنَّهُ قدْ كان ذاك. ولمْ نكرهْهُ) ثُمَّ أخذ يرْتجز: أُعْلُ هُبلْ. أُعْلُ هُبلْ. قال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: "ألا تُجيبُوا لهُ". قالوا: يا رسُول الله. ما نقُول؟ قال: " قُولوا: الله أعْلى وأجلُّ ". قال: إنَّ لنا العُزَّى ولا عُزَّى لكُم. فقال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: "ألا تُجيبُوا له؟". قال: قالوا: يا رسُول الله. ما نقُولُ؟ قال: "قُولوا الله موْلانا. ولا موْلى لكُمْ".

واستشهد يومئذ من المسلمين نحو السبعين. منهم حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد ذكر سبحانه هذه الوقعة في سورة آل عمران حيث يقول: «وإذْ غدوْت منْ أهْلك تُبوِّئُ المُؤمنين مقاعد للقتال والله سميعٌ عليمٌ» الآيات... إلى قوله: «مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ» (آل عمران: ١٧٩) (الفصول في السيرة: ١٥٠).

وهذا السياق فيه فوائد:

منها: أن خطة النبي صلى الله عليه وسلم كانت خُطةً حكيمةً ودقيقةً جدًا. تتجلى فيها عبقريةُ الرسُول-صلى الله عليه وسلم- العسكريةُ. فقد احتل رسُولُ الله-صلى الله عليه وسلم- أفضل موْضع منْ ميْدان المعْركة. مع أنهُ نزل فيه بعْد العدُو: فقد حمى ظهْرهُ. ويمينهُ بارْتفاعات جبل أُحُد. وحمى ميْسرتهُ وظهْرهُ. (الرحيق المختوم ٢٥٦).

ومنْها: تعْريفُ المُسلمين سُوء عاقبة المعْصية. وشُؤم ارْتكاب النهْي لما وقع من ترْك الرُّماة موْقفهُمُ الذي أمرهُمُ الرَّسُول أنْ لا يبْرحُوا منْه.

ومنُها: أنَّ عادة الرُّسل أنْ تبْتلى. وتكُون لها العاقبةُ. والحكْمةُ في ذلك أنهُمْ لو انْتصرُوا دائمًا دخل في المُؤمنين منْ ليْس منْهُمْ. ولمْ يتميزْ الصَّادقُ منْ غيْره. ولو انكسرُوا دائمًا لمْ يحْصُل المقْصُودُ من البعْثة؛ فاقْتضت الحكْمةُ الجمْع بيْن الأمْريْن؛ لتمْييز الصَّادق من الكاذب. وذلك أنَّ نفاق المُنافقين كان مخْفيًا عن المُسلمين فلمَّا جرتْ هذه القصَّة. وأظْهر أهْلُ النفاق ما أظْهرُوهُ من الفعْل. والقوْل عاد التلْويحُ تصْريحًا. وعرف المُسلمُون أنَّ لهُمْ عدُوًّا في دُورهمْ: فاسْتعدُّوا لهُمْ وتحرَّزُوا منْهُمْ.

ومنْها: أنَّ في تأْخير النصْر في بعْض المواطن هضْمًا للنَّفْس. وكسْرًا لشماختها فلمَّا ابْتلي المُؤمنُون صبرُوا. وجزع المُنافقُون.

ومنْها: أنَّ الله هيأ لعباده المُؤمنين منازل في دار كرامته لا تبْلغُها أعْمالُهُمْ: فقيَّض لهُمْ أسْباب الابْتلاء. والمحن: ليصلوا إليْها.

ومنْها: أنَّ الشَّهادة منْ أعْلى مراتب الأوْلياء فساقها إليْهمْ.

ومنْها: أنَّهُ أراد إهْلاك أعْدائه: فقيَّض لهُمُ الأسْباب الَّتي يسْتوْجبُون بها ذلك: منْ كُفْرهمْ. وبغْيهمْ. وطُغْيانهمْ في أذى أوْليائه: فمحَّص بذلك ذُنُوب المُؤْمنين. ومحق بذلك الكافرين. (فتح الباري: ٣٤٧/٧).

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحياء تاج الأخلاق

إعداد الشيخ/ صلاح نجيب الدق

فرع بلبيس

الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِيْن. والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَى نَبيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلى آله وصَحْبِه أجْمَعِيْن. وبعد: فالحياءَ تاجُ الأخلاقِ الإسلامية، وهو مفتاح لكل خير. ولمزيد من التوضيح عن الحياء وفضله وآثاره، أقول وبالله تعالى التوفيق:

تعريف الحياء

الحَيَاءُ: هُوَ خُلُقٌ يَبْعَثُ عَلَى تَرْكِ الْقَبِيحِ، وَيَمْنَعُ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي حَقِّ ذِي الحَقِّ. (رياض الصالحين- للنووي- ص٢٣٥).

منزلة الحياء

قال الإمَامُ ابن القيِّم رَحِمَهُ الله: خُلُقُ الْحيَاءِ الذي اختص الله تَعَالَى بِهِ الإنسانَ دُونَ جَمِيعِ الْحَيَوَان، من أفضل الأخلاق وأَجَلها وأعظمها قدراً وأكثرها نفعاً، بل هُوَ خَاصَّة الإنسانية، فَمن لاَ حَيَاء فِيه، لَيْسَ مَعَه مِنَ الإنسانية إلا اللَّحْم وَالدَّم وصورتهم الظَّاهِرَة، كَمَا أنه لَيْسَ مَعَه مِنَ الْخَيْر شَيْء، وَلَوْلاَ هذا الخُلُق لم يَقْرِ الضَّيْف وَلم يُوفِّ بالوعد وَلم يُؤَدِّ أمانة وَلم يقْضِ لأحدٍ حَاجَة وَلاَ تحرى الرَّجُل الْجَمِيل فآثره والقبيح فتجنبه وَلاَ ستر لَهُ عَورَة وَلاَ امْتنع من فَاحشَة، وَكثير مِنَ النَّاس لَوْلاَ الْحيَاء الَّذي فِيه لم يُؤَدِّ شَيْئًا مِنَ الأمور المفترَضَة عَلَيْه، وَلم يَرْعَ لمخلوق حَقًّا وَلم يصل لَهُ رحماً وَلاَ بَرَّ لَهُ والداً، فَإن الْبَاعث على هَذه الأفعال، إمَّا ديني وَهُوَ رَجَاء عَاقبَتهَا الحميدة، وَإمَّا دُنْيَوِيّ عُلْوي، وَهُوَ حَيَاء فاعلها من الْخلْق قد تبين أنه لَوْلاَ الْحَيَاءُ إمَّا مِنَ الْخَالِق أو مِنَ الْخَلاَئق لم يَفْعَلهَا صَاحبهَا. (مفتاح دار السعادة- لابن القيم- ص:٢٧٧).

الحياء من صفات الله تعالى

عَنْ سَلْمَانَ الفَارِسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَال

رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "إنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعالَى حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا". (صحيح أبي داود- للألباني: ١٣٢٠).

فائدة مهمة: الله تعالى يُوصَفُ بالْحياء الذي يليقُ به سُبْحانَهُ بغيْرِ تَشْبيهٍ، ولا تَمْثيلٍ، ولا تَحْريفٍ، ولا تعْطيلٍ.

الله تعالى يحب المؤمن المتصف بالحياء

عَنْ أَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: إِنَّ فِيكَ لَخُلُقَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ. قُلْتُ: وَمَا هُمَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: الْحِلْمُ وَالْحَيَاءُ. قُلْتُ: قَدِيمًا كَانَ أَوْ حَدِيثًا؟ قَالَ: قَدِيمًا. قُلْتُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خُلُقَيْنِ أَحَبَّهُمَا اللهُ. (صحيح الأدب المفرد- للألباني- حديث: ٤٥٥).

الحياء من الإيمان

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ. (صحيح البخاري:٩، وصحيح مسلم:٣٥).

قَوْلُهُ: (وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ): قَالَ الإِمَامُ الْخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: أَيْ: أَنَّ الْحَيَاءَ يَقْطَعُ صَاحِبَهُ عَنِ الْمَعَاصِي وَيَحْجِزُهُ عَنْهَا، فَصَارَ بِذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ؛ إِذِ الإِيمَانُ يَنْقَسِمُ إِلَى ائْتِمَارٍ لِمَا أَمَرَ اللهُ بِهِ، وَانْتِهَاءٍ عَمَّا نَهَى عَنْهُ. (معالم السنن للخطابي جـ٤ صـ٣١٢).

الحياء من الملائكة

ينبغي للمسلم أن يستشعر بالحياء بوجود الملائكة معه، وأنهم يرونه ويرافقونه في كل أوقاته، إلا عند ذهابه إلى الغائط أو عندما يجامع زوجته، وأنهم يكتبون أقواله وأفعاله. قال تعالى: (أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ) (الزخرف: ٨٠)، وقال سبحانهُ وتعالى: (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ⑩ كِرَامًا كَاتِبِينَ ⑪ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ) (الانفطار: ١٠: ١٢).

الحياء مفتاح لكل خير

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: الحَيَاءُ لاَ يَأْتِي إِلاَّ بِخَيْرٍ. (صحيح البخاري: ٦١١٧، وصحيح مسلم: ٣٧).

قال الإمامُ ابن بطال (رحمهُ الله): مَن استحيا من الناس أن يروه يأتي الفجور ويرتكب المحارم، فذلك داعية له إلى أن يكون أشد حياءً من ربه وخالقه، ومَن استحيا من ربه فإن حياءه زاجر له عن تضييع فرائضه وركوب معاصيه؛ لأن كل ذي فطرة صحيحة يعلم أن الله تعالى النافع له والضار والرزاق والمحي والمميت، فإذا علمَ ذلك فينبغي له أن يستحي منه عزَّ وجلَّ. (شرح البخاري- لابن بطال- جـ٩- ص٢٩٨).

الحياء هو الحياة

قَالَ الحكيمُ الترمذيُّ رحمَهُ اللهُ: الْحياءُ أَصلُهُ منَ الْحياةِ فإذا حَيا الْقلبُ باللهِ استحيى، وكلما ازْداد حياةً باللهِ، ازْداد حياءً منْهُ، أَلا ترى أَنَّ الْمُسْتحْيِي يعْرقُ في وقْتِ الْحياءِ؛ فعرقُهُ منْ حرارةِ الْحياةِ الَّتي هاجتْ منَ الرّوحِ فمنْ هيجانِهِ تفورُ منْهُ الرُّوحُ فيعْرقُ منْهُ الْجسدُ ويعْرقُ منْهُ أَعْلاهُ؛ لأَنَّ سُلْطانَ الْحياءِ في الْوجْهِ والصّدْرِ. (نوادر الأصول- للحكيم الترمذي- جـ٦- ص١٧٩).

الحياء زينة الأخلاق

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: مَا كَانَ الْحَيَاءُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ، وَلاَ كَانَ الْفُحْشُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ. (صحيح الأدب المفرد- للألباني: ٦٠١).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ

رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: إنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وخُلُقُ الإِسْلَامِ الحَيَاءُ. (حديث حسن) (صحيح ابن ماجه- للألباني: ٣٣٧٠).

نبينا صلى الله عليه وسلم يحافظ على حياء الفتاة البكر

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: البِكْرُ تُسْتَأْذَنُ. قُلْتُ: إِنَّ البِكْرَ تَسْتَحْيِي؟ قَالَ: إِذْنُهَا صُمَاتُهَا. (صحيح البخاري: ٦٩٧١).

هكذا يحفظ نبينا صلى الله عليه وسلم، لكل فتاة حياءها، ويُجنبها مشقة الموافقة على الزواج صراحة، ويبين أنّ الاكتفاء بصمتها دليلٌ على رضاها.

الحياء يمنع الوقوع في الشبهات

أفضل درجات الحياء أن يتجنَّب المسلم الشبهات استحياءً من الله تعالى، ومخافة أن يُؤدي ذلك إلى وقوع المسلم في الأمور التي حرمها الله؛ فعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: إِنَّ الحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ. (مسلم: ١٥٩٩).

الحياء لا يمنع من الاعتراف بالخطأ

قال أحمد بن الحسن بن زياد اللؤلؤي أن أباه الحسن بن زياد استُفتي في مسألة فأخطأ، فلم يعرف الذي أفتاه، فأجَّر مناديًا فنادى: إن الحسن بن زياد استُفتي يوم كذا وكذا في مسألة فأخطأ، فمن كان أفتاه الحسن بن زياد بشيء فليرجع إليه. قال فمكث أيامًا لا يُفتي حتى وجد صاحب الفتوى فأعلمهُ أنه أخطأ وأن الصواب كذا وكذا. (أخبار أبي حنيفة- الصيمري- ص١٣٥).

أفتى الشيخ عز الدين بن عبد السلام -رحمهُ الله- مرةً بشيءٍ ثمَّ ظهر لهُ أنه خطأ فنادى في بعض البلاد على نفسه: من أفتى لهُ فلان بكذا فلا يعمل به فإنَّه خطأ. (طبقات الشافعية- للسبكي- جـ٨- ص٢١٤).

الحياء لا يمنع طلب العلم

عن أمِّ سلمة، رضي الله عنها: أن أمَّ سليم قالت: يا رسول الله، إنَّ الله لا يستحي من الحق، هل على المرأة غُسلٌ إذا احتلمت؟ قال: نعم، إذا رأت الماء. فضحكت أمُّ سلمة، فقالت: أتحتلم المرأة؟ فقال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: فبم شبهُ الولد. (صحيح البخاري: ٦٠٩١).

أقوال السلف الصالح في الحياء

(١) قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ. (مكارم الأخلاق- لابن أبي الدنيا- صـ٤٠).

(٢) قَالَ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ هَلَاكًا نَزَعَ مِنْهُ الْحَيَاءَ، فَإِذَا نَزَعَ مِنْهُ الْحَيَاءَ لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا مَقِيتًا مُمَقَّتًا. (مكارم الأخلاق- لابن أبي الدنيا- صـ٤٤).

(٣) قَالَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَسْتَحِي مِنَ النَّاسِ. (أدب الدنيا والدين- للماوردي- ص٢٤٩).

(٤) قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ (رحمهُ الله): الْحَيَاءُ هُوَ الدِّينُ كُلُّهُ. (مكارم الأخلاق- لابن أبي الدنيا- صـ٣٨).

(٥) قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ (رحمهُ الله): إِنَّ الْحَيَاءَ يَمْنَعُ صَاحِبَهُ مِنَ ارْتِكَابِ الْمَعَاصِي. (شرح الزرقاني على موطأ مالك- جـ٤- صـ٤٠٦).

نبينا صلى الله عليه وسلم هو القدوة في الحياء

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ

النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، بِبُرْدَةٍ مَنْسُوجَةٍ، فيها حاشيتُها، أتدْرُونَ ما البُرْدَةُ؟ قالوا: الشَّمْلَةُ، قال: نعمْ، قالت: نسجْتُها بيدي فجئْتُ لأكْسُوكها، فأخذها النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم، مُحْتاجًا إليها، فخرج إلينا وإنها إزارُهُ، فحسَّنها فُلانٌ، فقال: اكْسُنيها، ما أحْسنها! قال القوْمُ: ما أحْسنْتَ، لبسها النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم، مُحْتاجًا إليها، ثُمَّ سألْتَهُ، وعلمْتَ أنَّهُ لا يرُدُّ-سائلاً-، قال: إنِّي والله، ما سألْتُهُ لألْبسهُ، إنَّما سألْتُهُ لتكُون كفني، قال سهْلٌ: فكانتْ كفنهُ. (صحيح البخاري: ١٢٧٧).

وعنْ عائشة رضي الله عنها، أنَّ امْرأةً من الأنْصار قالتْ للنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: كيْفَ أغْتسلُ من المحيض؟ قال: خُذي فرْصةً مُمسَّكةً، فتوضَّئي ثلاثًا. ثُمَّ إنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم اسْتحْيا، فأعْرض بوجْهه، أوْ قال: توضَّئي بها. فأخذْتُها فجذبْتُها، فأخْبرْتُها بما يُريدُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم. (صحيح البخاري: ٣١٥، وصحيح مسلم: ٣٣٢).

المعاصي تمحو الحياء من النفوس

قال الإمام ابنُ القيم رحمهُ الله: منْ عُقُوبات المعاصي: ذهابُ الْحياء الَّذي هُو مادَّةُ حياة الْقلْب، وهُو أصْلُ كُلِّ خيْر، وذهابُهُ ذهابُ الْخيْر أجْمعه. وفي الصحيح عنْهُ صلى الله عليه وسلم أنَّهُ قال: (الْحياءُ خيْرٌ كُلُّهُ). والذُّنُوبُ تُضْعفُ الْحياء من الْعبْد، حتَّى رُبَّما انْسلخ منْهُ بالْكُلِّيَّة، حتَّى إنَّهُ رُبَّما لا يتأثَّرُ بعلْم النَّاس بسُوء حاله ولا باطِّلاعهمْ عليْه، بلْ كثيرٌ منْهُمْ يُخْبرُ عنْ حاله وقُبْح ما يفْعلُ، والْحاملُ لهُ على ذلك انْسلاخُهُ من الْحياء، وإذا وصل الْعبْدُ إلى هذه الْحالة لمْ يبْق في صلاحه مطْمعٌ. والْحياءُ مُشْتقٌّ من الْحياة، والْغيْثُ يُسمَّى حيا لأنَّ به حياة الأرْض والنَّبات والدَّواب، وكذلك سُمِّيتْ بالْحياء حياةُ الدُّنْيا والآخرة، فمنْ لا حياء فيه فهُو ميِّتٌ في الدُّنْيا شقيٌّ في الآخرة، وبيْن الذُّنُوب وبيْن قلَّة الْحياء وعدم الْغيْرة تلازُمٌ من الطَّرفيْن، وكُلٌّ منْهُما يسْتدْعي الآخر ويطْلُبُهُ حثيثًا، ومن اسْتحى من الله عنْد معْصيته، اسْتحى الله منْ عُقُوبته يوْم يلْقاهُ، ومنْ لمْ يسْتح منْ معْصيته لمْ يسْتح الله منْ عُقُوبته. (الداء والدواء- لابن القيم- صـ٦٨-٦٩).

مظاهر مخالفة للحياء

سوف نذكر بعض المظاهر التي تخالف الحياء والمنتشرة بصورة كبيرة في المجتمع.

(١) المجاهرة بالمعاصي أمام الناس

عنْ أبي هُريْرة رضي الله عنْهُ، قال: سمعْتُ رسُول الله صلى الله عليه وسلم، يقُولُ: كُلُّ أُمَّتي مُعافًى إلاَّ الْمُجاهرين وإنَّ من الْمُجاهرة أنْ يعْمل الرَّجُلُ باللَّيْل عملاً ثُمَّ يُصْبح وقدْ سترهُ اللهُ عليْه فيقُول يا فُلانُ عملْتُ الْبارحة كذا وكذا، وقدْ بات يسْتُرُهُ ربُّهُ ويُصْبحُ يكْشفُ ستْر الله عنْهُ. (صحيح البخاري: ٦٠٦٩، وصحيح مسلم: ٢٩٩٠).

(٢) الكلام بالألفاظ السيئة التي تخدش الحياء:

عنْ عبْد الله بْن مسْعُود رضي الله عنْهُ، قال: قال رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: ليْس الْمُؤْمنُ بالطَّعَّان ولا اللَّعَّان ولا الْفاحش ولا الْبذيء. (صحيح سنن الترمذي- للألباني: ١٦١٠).

وآخرُ دعْوانا أن الْحمْدُ لله ربِّ الْعالمين.

الحلقة (1)

إلهاب الحماس للتنافس في قضاء حوائج الناس

إعداد: المستشار أحمد السيد علي إبراهيم
نائب رئيس هيئة قضايا الدولة

الحمد لله حمدًا لا ينفد، أفضل ما ينبغي أن يُحمد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تعبّد.

وبعدُ: فإن من أجلّ العبادات: السعي لقضاء حوائج الناس، وتفريج كرباتهم.

ولقضاء حوائج الناس فضائل عدة، منها:

الفضيلة الأولى: قضاء حوائج الناس من صفات رب العالمين، التي حثّ عليها:

وهي من أعظم الفضائل؛ أن نفع الناس وكشف كرباتهم من صفات رب العالمين، امتدح بها نفسه فقال: «أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ» (النمل: ٦٢).

قال الدكتور محمد سيد طنطاوي في تفسيره " الوسيط ": «ثم تنتقل السورة- للمرة الثالثة- إلى لفت أنظارهم إلى الحقيقة التي هم يحسونها في خاصة أنفسهم، وفي حنايا قلوبهم فتقول: «أَمَّنْ يُجيبُ الْمُضطَرَّ إذا دعاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ» والمضطر: اسم مفعول من الاضطرار الذي هو افتعال من الضرورة.

والمراد به: الإنسان الذي نزلت به شدة من الشدائد، جعلته يرفع أكفّ الضراعة إلى الله- تبارك وتعالى- لكي يكشفها عنه.

أي: وقولوا لنا- أيها المشركون-: من الذين يجيب دعوة الداعي المكروب الذي نزلت به المصائب والرزايا؟ ومن الذي يكشف عنه وعن غيره السوء والبلاء؟ إنه الله وحده، هو الذي يجيب دعاء من التجأ إليه، وهو وحده- سبحانه- الذي يكشف السوء عن عباده، على حسب ما تقتضيه إرادته وحكمته.

وقولوا لنا – أيضًا-: من الذي «يَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ» أي: من الذي يجعلكم يخلف بعضكم بعضًا. قرنا بعد قرن، وجيلا بعد جيل «أإلهٌ مَعَ اللهِ» هو الذي فعل ذلك. كلا، بل الله وحده- عز وجل- هو الذي يجيب المضطر، وهو الذي يكشف السوء، وهو الذي يجعلكم خلفاء الأرض، ولكنكم «قليلاً ما تَذَكَّرُونَ» أي: ولكنكم زمانا قليلا هو الذي تتذكرون فيه نعم الله- تبارك وتعالى – عليكم،

ورحمته بكم.

وختـم- سبحانه- هـذه الآيـة بتلك الجملة الحكيمة، لأن الإنسان من شأنه- إلا من عصم الله- أنه يذكر الله- تبارك وتعالى- عند الشدائد، وينساه عند الرخاء. وصدق الله إذ يقول: « وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ » (فصلت: ٥١) اهـ.

ولأنها من صفات الله فقد حثّ على فعل الخير، وقضاء حوائج عباده، فقال تعالى: « يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » (الحج: ٧٧). فقضاء حوائج الناس المشروعة من أفضل وسائل فعل الخير.

الفضيلة الثانية: قضاء حوائج الناس من هدى الأنبياء والمرسلين:

ولأن قضاء حوائج الناس من أجلِ العبادات التي يتقرب بها العبد إلى ربه، فلا عجب أن يكون أنبياء الله ورسله في طليعة أقوامهم في قضاء حوائجهم، وهذه أمثلة تؤيد ذلك:

١- موسى عليه السلام:

نبي الله ورسوله موسى عليه السلام من أولي العزم من الرسل، ولم يتوان للحظة واحدة في المبادرة إلى قضاء حوائج الناس، طلبوا ذلك منه، أو لم يطلبوها، وليس أدل على ذلك من الآتي:

أ - قضاء الحوائج بطلب من الناس:

قال تعالى: « وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ » (القصص: ١٥).

قال القرطبي رحمه الله في تفسيره: «فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته والمعنى: إذا نظر إليهما الناظر قال هذا من شيعته: أي من بني إسرائيل. وهذا من عدوه أي من قوم فرعون فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه أي طلب نصره وغوثه، وكذا قال في الآية بعدها: فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه أي يستغيث به على قبطي آخر، وإنما أغاثه لأن نصر المظلوم دين في الملل كلها على الأمم، وفرض في جميع الشرائع...» اهـ.

ب - قضاء الحوائج بغير طلب من الناس:

قال تعالى: « فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (٢١) وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ (٢٢) وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ » (القصص: ٢١ - ٢٤).

قال ابن عاشور في تفسيره " التحرير والتنوير": «ومَعْنى "فَسَقى لَهُما" أنَّهُ سَقى ما جِئْنَ لِيَسْقِينَهُ لِأجْلِهِما، فاللّامُ لِلْأجْلِ، أيْ لا يَدْفَعُهُ لِذَلِكَ إلّا هُما، أيْ رَأْفَةً بِهِما وغَوْثًا لَهُما. وذَلِكَ مِن قُوَّةِ مُرُوءَتِهِ أنِ اقْتَحَمَ ذَلِكَ العَمَلَ الشّاقَّ عَلى ما هو عَلَيْهِ مِنَ الإعْياءِ عِنْدَ الوُصُولِ» اهـ.

لما بادر موسى عليه السلام بقضاء حاجة المرأتين، كافأه الله على حُسن صنيعه، فالجزاء من جنس العمل، قال تعالى: « فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (٢٥) قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَـٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ (٢٦) قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ » (القصص: ٢٥ - ٢٧). فكانت نتيجة قضاء حاجتهما، وكشف كرباتهما، أمانًا بعد الخوف، ورزقًا بعد الفقر، وزوجة بعد العُزوبة، هذا جزاء في الدنيا حصل عليه نبي الله موسى عليه السلام، فكيف بجزاء الآخرة؟

٢- يوسف عليه السلام:

كان يوسف عليه السلام من المحسنين، يقضي حوائج الناس داخل السجن، وخارجه.

أ- إحسان يوسف داخل السجن:

قال تعالى: « وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ » (يوسف: ٣٦)

قال الطبري- رحمه الله- في تفسيره " جامع البيان عن تأويل آي القرآن " : «وقوله: (إنا نراك من المحسنين) اختلف أهل التأويل في معنى "الإحسان" الذي وصف به الفتيان يوسف.

فقال بعضهم: هو أنه كان يعود مريضهم، ويعزِّي حزينهم، وإذا احتاج منهم إنسان جَمع له.

ذكر من قال ذلك: حدثنا الحسن بن محمد، قال: حدثنا سعيد بن منصور، قال: حدثنا خلف بن خليفة، عن سلمة بن نبيط، عن الضحاك بن مزاحم، قال: كنت جالسًا معه ببلخ، فسئل عن قوله: (نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين)، قال: قيل له: ما كان إحسان يوسف؟ قال: كان إذا مرض إنسان قام عليه، وإذا احتاج جمع له، وإذا ضاق أوْسع له...

فإن قال قائل: وما وجهُ الكلام إن كان الأمر إذن كما قلت، وقد علمت أن مسألتهما يوسف أن ينبئهما بتأويل رؤياهما، ليست من الخبر عن صفته بأنه يعود المريض ويقوم عليه، ويحسن إلى من احتاج في شيء، وإنما يقال للرجل: " نبئنا بتأويل هذا فإنك عالم "، وهذا من المواضع التي تحسن بالوصف بالعلم، لا بغيره؟

قيل: إن وجه ذلك أنهما قالا له: نبئنا بتأويل رؤيانا محسنًا إلينا في إخبارك إيانا بذلك، كما نراك تحسن في سائر أفعالك: (إنا نراك من المحسنين)» اهـ.

ب- إحسان يوسف خارج السجن:

انظر-أخي القارئ الكريم- إلى ما فعله إخوة يوسف معه؛ حيث اتهموه بالسرقة، ووضعوه في الجبِّ، ومع ذلك قضى حاجتهم لما جاؤوا إليه متسوِّلين يقولون: « مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ » (يوسف: ٨٨)، فعفا عنهم: « لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ » (يوسف: ٩٢)، وقضى حاجتهم، وجهَّزهم بجهازهم.

٣- رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم:

وسيد ولد آدم محمد صلى الله عليه وسلم جمع المروءة كلها، وكان يبادر إلى قضاء حوائج الناس، حتى صار ذلك وصفه وسمته، وليس أدل على ذلك من الآتي:

أ – قول أمنا خديجة رضي الله عنها: « أَبْشِرْ، فَوَاللَّهِ لا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا؛ إنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وتَحْمِلُ الكَلَّ، وتَقْرِي الضَّيْفَ، وتُعِينُ علَى نَوَائِبِ الحَقِّ... » (رواه البخاري).

ب- عن جابر بن عبد اللَّهِ رضى اللَّه عنه قال: « ما سُئِلَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عليه وسلَّمَ شيئًا قطُّ، فَقالَ: لا » (متفق عليه).

جاء بموقع "الدرر السنية – الموسوعة الحديثية" على الشبكة العنكبوتية: «كانَ النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ أحسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وأجْوَدَهم وأكرَمَهم، وكان يَبذُلُ أموالَه فيما يُقرِّبُ إلى اللهِ سُبحانه وتعالى.

وفي هذا الحديثِ يُخبِرُ جابرُ بنُ عبدِ اللهِ رَضيَ اللهُ عنهما أنَّ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ما طُلِبَ منهُ شيءٌ من مَتاعِ الدُّنيا، وغيرِها ممَّا يَستطيعُ في أيِّ وقتٍ تقديمَهُ، «فقال: لا»؛ فإمَّا أن يُعطيَ ما يُطلَبُ منهُ إن كانَ عندَهُ، وإلَّا سَكَتَ، أو اعتذَرَ ودعا، أو وَعَدَ أنْ يَقضيَ حاجةَ السَّائلِ عندَ توفُّرِها، والحاصلُ أنَّه صلَّى الله عليه وسلَّمَ كان لا

يَرُدُّ سائلاً بدون عُذر، وليس المرادُ أنَّه لم يَنطق كلمة «لا» قطُّ في حالة العُذر والعسر. وقد ورَد في الصَّحيحين أنَّه لمَّا جاءَه نَفرٌ من الأشعريِّين يطلُبون منه دوابَّ لتحملهم، قال صلَّى الله عليه وسلَّم: «والله لا أحملكم، وما عندي ما أحملُكم».

ووجهُ الجمع بيْن الحديثيْن: أنْ يُخصَّ من عُموم حديث جابر بما إذا سُئل ما ليْس عنده، والسَّائل يتحقَّق أنَّه ليْس عنده ذلك، أو حيث كان المقامُ لا يقْتضي الاقتصارَ على السُّكوت من الحالة الواقعة، أو من حال السَّائل؛ كأنْ يكون لم يَعرف العادة، فلو اقتصَر في جوابه على السُّكوت مع حاجة السَّائل لتمادَى في السُّؤال مثلاً، ويكون القسَمُ على ذلك تأكيدًا لقطع طمع السَّائل. وفي الحديث: بيانُ كَرم النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم، وحُسْن خُلقه» اهـ.

ج- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «إنْ كانَت الأمَةُ من إماء أهل المَدينة، لَتَأْخُذُ بيد رَسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فتَنطلقُ به حَيْثُ شاءَتْ» (رواه البخاري).

جاء بموقع " الدرر السنية - الموسوعة الحديثية " على الشبكة العنكبوتية: «في هذا الحديث يروي أنسُ بنُ مالك رضيَ الله عنه: أنَّ الأمَةَ-وهي غيرُ الحُرَّة- من إماء أهل المدينة، كانت لَتأخذُ بيَد رَسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، فتَنطلقُ به حيث شاءَتْ من الأمكنة، ولو كانت حاجتُها خارجَ المدينة. والمقصودُ من الأخْذ بيَده لازمُه، وهو الرِّفقُ والانقيادُ، يعني: كان خُلُقُ رَسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بهذه المرتبة من الرِّفعة والتواضع، وأنه لو كان لأمَة حاجةٌ في بعض مواضع المدينة، وتلتَمسُ منه مساعدتَها في تلك الحاجة، واحتاج بأن يمشيَ معها لقضائها؛ لما تخلَّف عن ذلك حتى يقضيَ حاجتَها. وفي الحديث: عَظيمُ تواضُع النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم، وبَراءته من جميع أنواع الكِبْر» اهـ.

د - قال ابن كثير رحمه الله في "البداية والنهاية": «وهذا رجلٌ من إراش له حقٌّ عند أبي جهل يماطل به، فجاء شاكيًا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج معه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاء بيت أبي جهل، فضرب عليه بابه. فقال: من هذا؟ قال: محمد، فاخرج إليَّ، فخرج إليه وما في وجهه من رائحة قد انتُقع لونُه، فقال: أعْط هذا الرجلَ حقَّه، قال: نعم، لا تبرح حتى أعطيَه الذي له، قال: فدخل فخرج إليه بحقه فدفعه إليه، قال: ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال للإراشي: الْحَقْ بشأنك، فأقبل الإراشي حتى وقف على ذلك المجلس لقريش، فقال: جزاه الله خيرًا، فقد والله أخذ لي حقي، قال: ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء فقالوا له: ويلك ما لك؟ والله ما رأينا مثل ما صنعت قط، قال: ويحكم والله ما هو إلا أن ضرب عليَّ بابي، وسمعت صوته فمُلئْتُ رعبًا، ثم خرجت إليه وإن فوق رأسه لَفحْلاً من الإبل، ما رأيت مثل هامته ولا قصرته ولا أنيابه فحلاً قط، والله لو أبيتُ لأكلني» اهـ.(عن ابن اسحاق بإسناد مرسل).

وذكرنا لهدي أولئك الأنبياء والمرسلين ليقتدي المسلم بهم في المبادرة إلى قضاء حوائج الناس، وقد حث الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك، فقال تعالى: « أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ » (الأنعام:٩٠).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

من أسس التوحيد: إخلاص العبادة لله

قال الله تعالى: «وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ»

(البينة: ٥)

من هدي الرسول ﷺ

الحث على تقوية أواصر الأخوة

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إيَاكم والظَن؛ فإنَ الظَنَ أكذب الحديث. ولا تحسَسوا، ولا تجسَسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا".

(صحيح مسلم)

من فضائل الصحابة

عن بسام الصيرفي، قال: سألت أبا جعفر الصادق عن أبي بكر وعمر، فقال: والله إني لأتولاهما، وأستغفر لهما، وما أدركت أحدًا من أهل بيتي إلا وهو يتولاهما.

(سير أعلام النبلاء)

حكم ومواعظ

قال الحسن البصري: "عجبًا لمن خاف العقاب ولم يـكـفّ، ولمـن رجـا الـثـواب ولم يعمل".

(العقد الفريد)

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

(مَنْ صافحَ يهوديًا أو نصرانيًا؛ فلْيتوضَأْ أو يغسل يدَه)؛ باطل. وأخطأ من قال: لا يحل الشرب من أوانيهم، ولا مؤاكلتهم، ولا لبس ثيابهم، فقد صح عن النبي صلَى الله علَيه وسَلَم والسلف خلافه.

(السلسلة الضَعيفة).

فضل طلب العلم

عن أبي العالية قال: كنت آتي ابن عباس فيرفعني على السرير، وقريش أسفل من السرير، فتغامزت بي قريش، وقالوا: يرفع هذا العبد على السرير، ففطن بهم ابن عباس، فقال: إن هذا العلم يزيد الشريف شرفًا، ويُجلس المملوك على الأسرَة. (تهذيب الكمال)

اعداد: علاء خضر

من تفاسير السلف

المقصود بـ"التذكر"

قال تعالى: « إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ » (الأعراف: ٢٠١). فالتذكر يُورث البصيرة، والمقصود بِه هنا-كما يقول ابن كثير- أنهم تذكروا عقاب الله وجزيل ثوابه، ووعده ووعيده، فتابوا وأنابوا، واستعاذوا بالله، ورجعوا إليه من قريب. (تفسير ابن كثير).

من دلائل النبوة

إخبار النبي ﷺ عن فتح مصر

عن أبي ذر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إنكم ستفتحون مصر، وهي أرض يسمى فيها القيراط، فإذا فتحتموها فاستوصوا بأهلها خيرًا؛ فإن لهم ذمةً ورحمًا، فإذا رأيت رجلين يختصمان في موضع لبنة فاخرج منها. (صحيح مسلم).

من دعاء النبي ﷺ

عن عبد الله بن عمر قال: كان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهمَ إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحوُّل عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك" (صحيح مسلم).

من أقوال السلف

عن أبي حاتم قال: سمعت نعيم بن حماد يقول: مَن ترك حديثًا معروفًا (أي صحيحًا) فلم يعمل به، وأراد له علة أن يطرحه، فهو مبتدع. (الفقيه والمتفقه)

من علامات أهل البدع والضلال

عن عمر بن عبد العزيز قال: "إذا رأيت قومًا يتناجون في دينهم بشيء دون العامة؛ فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة". قلت: فليحذر طلاب العلم من دروس العلم والأشخاص غير المعروفين بالعلم في السر دون العلن. (أصول الاعتقاد).

من حكمة الشعر

قال ابن قريع في القناعة:

ارض من الدهر ما أتاك به
من يرض يومًا بعيشه نفعه
قد يجمع المال غير آكله
ويأكل المال غير من جمعه
(العقد الفريد)

أحوال العباد في يوم التناد

إعداد/ الشيخ/ رضا الخطيب | فرع ترسا

الحمد لله المعز أهل الإيمان بالقبول، الذين استجابوا لله والرسول، وأورثهم دار السلام، تحيتهم فيها سلام، وأصلي وأسلم على لبنة التمام، ومسك الختام وسيد الأنام، وآله وصحبه والتابعين بإحسان.

أما بعد: فإن الله -عز وجل- قد سمى يوم القيامة بأسماء كثيرة في القرآن الكريم، كل اسم منها يُظهر جانبًا مما يقع يوم القيامة من حوادث وأهوال، وحري بالمسلم أن يتدبر تلك الأسماء وأن يبحث في معانيها، ولعل هذا المقال يفعل ذلك في اسم من أسماء يوم القيامة.

يوم التناد

قال مؤمن آل فرعون واعظًا قومَه: «وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ» (غافر: ٣٢)؛ يعني: يومَ القيامة، وإنما سمي يومُ القيامة بيوم التنادي؛ لما يقع فيه من نداءات، وصيغة التفاعل في كلمة: «التنادي» تدل على الكثرة والتنوع، فإنَّ الخلق يومئذ يتنادون، ونداءاتهم يومئذ متنوعة بما سيحاول هذا المقال إيضاحَ بعضها، والله المستعان وعليه التكلان.

نداء البعث:

إنَّ أوَّل ما يقعُ يومَ القيامة من نداءٍ: هو نداءُ البعث، يقولُ عنه ربُّ العالمينَ عزَّ وجلَّ: «وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ» (ق: ٤١).

المنادي: هو إسرافيلُ الذي ينفخُ في الصُّور، وقيل: إسرافيل ينفخ وجبريل ينادي بالحشر. (تفسير الكشاف للزمخشري: ٤/٣٩٣).

والمنادَى: هي العظامُ الناخرة، والأوصالُ المتناثرة، والأجسام البالية، والأكفان الخالية، والحطام والرُّفات، والتُّراب والفتات.

والنداء: إنَّما هو نفخُه في الصُّور نفخةَ البَعث «وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ» (الزمر: ٦٨) وسُمِّي النفخ في الصور نداءً لأنَّه نفخةُ دعاء يجيبُه كلُّ الخلائق، ووصفه بالقرب لأنَّه يُسمِعُ جميعَ الخلق إسماعَ المنادي القريبِ من المنادَى، وفيه إشارة إلى سرعة حضور المنادين حضورَ من أجابَ مناديه من مكان قريب.

نداء العرض على ربّ السماوات والأرض:

قال تعالى: «يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا» (الإسراء: ٧١-٧٢)

«بإمَامِهمْ» قيل: أي بنبيهم منسوبينَ إليه فيقال: يا أمَّةَ فلانٍ، وقيل: بكتابهم الذي أُنزلَ عليهم، وقيل: بكتابهم الذي فيه أعمالُهم.

وعلى كلٍّ فإنَّ المعنى المشترك بين كل هذه التفاسير لكلمة: «بإمَامِهمْ» الشَّهيدُ عليهم، سواءٌ أكان الرَّسولَ المبعوثَ إليهم كما قال تعالى فى الآية السابقة.

أو الكتابَ المنزلَ عليهم فيقالُ: يا أهل كتاب كذا، ويؤيد هذا المعنى قراءة الحسن: «يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أناسٍ بكتابهم»؛ أي الكتاب الذي أحصى أعمالَهم، فيقالُ: يا أصحابَ كتابِ الخير الذين تلقَّوه باليمين، ويا أصحاب كتاب الشرِّ الذين تلقَّوه بالشمال.

فهذا نداء العرض على رب السماوات والأرض، وكلٌّ يعرض على ربِّه ومعه الشهيد الذي لا تُردُّ شهادته ولا يكذبُ قولُه... والشهود يومئذ كثير «وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ» (القصص: ٧٥).

نداء التوبيخ والتهكم.

قال تعالى: «وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ» (القصص: ٦٢).

«وَيَـوْمَ يُنَادِيهِمْ» أي: المشركين بدلالة السؤال عن الشركاء، وهو نداء تنخلع منه القلوب وتشخص الأبصار لجلالته وعظمته، يناديهم وهو غضبان غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، سائلاً سؤال توبيخ وتقريع: «وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ» أنهم شركاء لله في ملكه وفي خلقه وفي عبادته.

وأما التهكم ففي استعمال اسم الاستفهام: «أين» الذي هو للسؤال عن المكان، وكأنه أقرهم على وجود الشركاء وعلى وصفهم بالشركاء لكن يسأل عن مكان وجودهم، ولا يخفى ما في ذلك من تهكم بالكفار وسخرية منهم ومن شركهم؛ إذ يرجع المشركون إلى أنفسهم بالخيبة والحسرة: «قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ» (الأعراف: ٣٧)

نداء أهل النعيم على أصحاب الجحيم:

«وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ» (الأعراف: ٤٤)

نداء السعادة والنعيم - جعلنا الله وإياكم من أهله- إذ تزداد سعادة المؤمنين وفرحتهم يومَ الدِين بإظهارِ نعمة الله عليهم، وبرؤية شقاوة أهل النَّار.

نداء الحسرة والخذلان:

«وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ» (الأعـراف: ٥٠)؛ وعلى النقيض من نداء السعادة والنعيم يأتي نداء الحسرة والشقاء، «أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّه» فإننا نراه لديكم موفورًا، تجري به الأنهار وتتفجر به العيون تفجيرًا؛ عينان تجريان، وعينان نضاختان، ولا يضركم أن تُفيضوا علينا منه، فلا ينقص منه إنفاقكم شيئًا «أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّه» ففي الأشجار فاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة، «أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّه» من مساكنَ لا ترون فيها شمسًا ولا زمهريرًا فقد امتُحشت وجوهنا ونضجَتْ جلودُنا وصهر ما في بطوننا، ومأوْنا حميم، وطعامنا زقوم وغسلين، ومرقدنا مهاد من جهنم وغواش من سجين... «قَالُوا إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ».

نداء المثقلة بحملها:

«وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ» (فاطر: ١٨).

«وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى» أي: لا تحملُ حاملةٌ حملَ أُخرى، والحملُ يومئذ الذنوب، «وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا» أي: وإن تنادي ثقيلة الحمل من الذنوب مَن يخفف عنها شيئًا من حملها «لاَ يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ» وتأمل تنكير كلمة شيء الذي يفيد التقليل والتحقير؛ أي لا يحمل منه شيء ولو كان قليلاً «وَلَوْ كَانَ» المدعو «ذَا قُرْبَى»؛ ذكر القرطبي في تفسيره: قال الفضيل بن عياض: هي المرأة تلقى ولدها فتقول: يا ولـدي، ألم يكن بطني لك وعاءً، ألم يكن ثديي لك سقاءً، ألم يكن حجري لك وطاءً، يقول: بلى يا أُمَاه، فتقول: يا بني، قد أثقلتني ذنوبي فاحمل عني منها ذنبًا واحـدًا، فيقول: إليك عنّي يا أماه، فإني بذنبي عنك مشغولٌ.

نداء اليأس والقنوط

«وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ» (الزخرف: ٧٧).

«وَنَـادَوْا يَا مَالِكُ» وهو خازن النار-عياذًا بك اللهم من هيئته-؛ «لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ»؛ بالموت والهلاك فنستريح من العذاب، فيسكت عن جوابهم-فيما رُوِي- ألف سنة، ثم يجيب بجواب هو قطعة من العذاب «قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ».

نسأل الله السلامة والعافية في الدنيا والآخرة.

صلاح الأمة في علو الهمة

إعداد الشيخ/ محمد صفوت نور الدين

رحمه الله

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين، وعلى آله وصحبه ومن تبعه على المنهج الصواب إلى يوم الدين. وبعدُ:

الهمة العالية هي الحياة التي من حُرم منها فهو من جملة الأموات. والنور الساطع الذي يسترشد به الغرباء في بحار ظلمات الدنيا، وهي الشفاء الذي من فقده فقد أصابته جميع الأسقام. وبها تكون اللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام. الهمة العالية روح الأعمال والأحوال متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه، تحمل أثقال السائرين إلى بلاد لم يكونوا بالغيها إلا بشق الأنفس، وترفعهم إلى منازل في الجنة لم يكونوا بدونها واصليها ولا بالتجافي عنها مدركيها.

الهمة العالية عند المؤمنين روح تنبع من قوله تعالى: (إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ) (الأنفال: ٦٥).

الهمة العالية عند المؤمنين تستمد من قوله تعالى: (كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) (البقرة: ٢٤٩)، ذلك بأنهم يؤمنون بالله القائل: (إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) (محمد: ٧). وأصحاب الهمة العالية يؤمنون أنه في حال الضعف يكون التخفيف لقوله تعالى: (الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) (الأنفال: ٦٦).

ففي حديث النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: (أصدق الأسماء: حارث وهمام)، ذلك لأن لكل نفس في كل حال (همًّا)، ولكن من الأنفس ما يكون همها دنيء يرشدها إلى كل مرذول ويعينها على الباطل ويصرفها عن الهداية والصواب، ومن أمثلة ذلك قوم لوط وفرعون. ومن الأنفس ما يكون همها عال تطلب من الأمور معاليها وتجتنب أراذلها، فتقصد إلى المقامات السامية والدرجات الرفيعة، تزكو بأعمالها وترتفع بأوقاتها، ورائد هذه الطائفة هم الأنبياء ومن سار سيرهم، واهتدى بهديهم، وحاديها في سيرها الجنة، وذكرها والقرب من ربهم، والأنس إليه يوم لقائه، فالهمة العالية والقصد إليها درجة تنافس فيها المتنافسون. فأهل علو الهمة مطلبهم الجنة: (كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ ۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) (المطففين: ١٨- ٢٦).

الهمة العالية: درجةٌ شَخُصَ إليها العباد والزهاد والمجاهدون والعلماء والحكماء. وإليها شمر السابقون من الأنبياء وأصحابهم، ومن سار على منهجهم. وفيها أنفق المنفقون ومن وافقهم. فهي قوت قلوب السالكين وغذاء أرواح العارفين وقرة عين المؤمنين الموحدين.

الهمة العالية تستمد من رب العالمين الذي قال للملائكة يوم بدر: (أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ) (الأنفال: ١٢). تستمد من رب العالمين الذي أنزل في كتابه: (إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) (التوبة: ٤٠). تستمد من رب العالمين حيث علمهم أن يقولوا: (رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) (البقرة: ٢٥٠).

وأصحاب الهمة العالية يعلمون أن الله الرافع

الخافض. القابض الباسط. المعطي المانع يرفع من يشاء: (وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ) (القصص: ٥، ٦)، والله يقول: (إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) (الأعراف: ١٢٨)، كتاب الله يخبر أصحاب الهمم العالية ويخبر من دونهم حتى يلحقوا بهم: (وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ) (النور: ٥٥- ٥٧).

> الهمة العالية تصون القلب عن وحشة الرغبة في الدنيا الفانية، وتحمله على الرغبة في الآخرة الباقية.

يقول صاحب (المدارج):

(الهمة) فعلة من الهم، وهو مبدأ الإرادة، ولكن خصوها بنهاية الإرادة، فالهم مبدؤها والهمة نهايتها.

ثم يقول: إن همة العبد إذا تعلقت بالحق تعالى طلبًا صادقًا خالصًا محضًا فتلك هي الهمة العالية، ولا يلتفت عنها إلى ما سوى أحكامها، وصاحب هذه الهمة سريع وصوله وظفره بمقصوده، ما لم تعقه العوائق وتقطعه العلائق.

وأول نبضات الهمة: تصون القلب عن وحشة الرغبة في الفاني، وتحمله على الرغبة في الباقي وتصفه من كدر التواني، (ويقول أيضًا): الهمام يأنف أن ينزل من سماء مطلبه العالي، فهو في سفر دائم بالقلب إلى الله ليحصل له ويفوز به، فإنه طالب لربه تعالى طلبًا تامًا بكل معنى واعتبار في عمله وعبادته ومناجاته ونومه ويقظته وحركته وسكونه وعزلته وخلطته وسائر أحواله. فقد انصبغ قلبه بالتوجه إلى الأعمال، ولا يقف عند عوض ولا درجة. فإن ذلك نزول من همته، ومطلبه أعلى من ذلك.

فإن صاحب هذه الهمة قد قصر همته على المطلب الأعلى الذي لا شيء أعلى منه، والأعواض والدرجات دونه. وهو يعلم أنه إذا حصل له فهناك كل عوض ودرجة عالية. انتهى.

صحبة أصحاب الهمم العالية من البشر ودراسة سيرتهم في الكتب والتعرف على أحوالهم في سابق الأمم يزيل الكسل، ويشحذ العزائم، فتطلب معالي الأمور، فضلاً عن كونها تورث محبة أصحاب الهمم العالية، والنبي- صلى الله عليه وسلم- يقول: (المرء مع من أحب).

فيا أيها القارئ الكريم تعرف على القوم لتحبهم لعل الله أن ينزلنا منازلهم، وأن يبلغنا درجاتهم، وإن قصرت بنا الأعمال، وضعفت الهمم عن بلوغ ما بلغوه، وإحراز ما أدركوه وجمعوه، فكتاب الله وما حوله من كتب التفسير وكتب التراجم والطبقات، بل كتب الفقه والتاريخ والحديث جمعت من ذلك الكثير فاجعل لك رفقة وصحبة تنل علو الهمة.

والله الهادي إلى الصواب، وهو من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فضل اتباع الجنائز

عَنْ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُسَيْطٍ أَنَّهُ حَدَّثَهُ: أَنَّ دَاوُدَ بْنَ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ حَدَّثَهُ أَنَّهُ كَانَ قَاعِدًا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ إِذْ طَلَعَ خَبَّابٌ صَاحِبُ الْمَقْصُورَةِ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ، أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ خَرَجَ مَعَ جَنَازَةٍ مِنْ بَيْتِهَا وَصَلَّى عَلَيْهَا، ثُمَّ تَبِعَهَا حَتَّى تُدْفَنَ، كَانَ لَهُ قِيرَاطَانِ مِنْ أَجْرٍ كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُحُدٍ».

فَأَرْسَلَ ابْنُ عُمَرَ خَبَّابًا إِلَى عَائِشَةَ يَسْأَلُهَا عَنْ قَوْلِ أَبِي هُرَيْرَةَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ فَيُخْبِرُهُ مَا قَالَتْ وَأَخَذَ ابْنُ عُمَرَ قَبْضَةً مِنْ حَصْبَاءِ الْمَسْجِدِ يُقَلِّبُهَا فِي يَدِهِ حَتَّى رَجَعَ إِلَيْهِ الرَّسُولُ، فَقَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ: صَدَقَ أَبُو هُرَيْرَةَ، فَضَرَبَ ابْنُ عُمَرَ بِالْحَصَى الَّذِي كَانَ فِي يَدِهِ الْأَرْضَ، ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ فَرَّطْنَا فِي قَرَارِيطَ كَثِيرَةٍ. (صحيح مسلم: ٩٤٥).

إنا لله وإنا إليه راجعون

«إنَّ اللَّه لا يقبضُ العلمَ انتزاعًا ينتزعُه من صُدورِ الرِّجالِ، ولكن يقبضُ العلمَ بقبضِ العلماءِ»

توفي فضيلة الأستاذ الدكتور/ علي لقم أستاذ اللغويات بكلية الدراسات الإسلامية جامعة الأزهر يوم الثلاثاء ٢٦ من شهر ربيع الآخر ١٤٤٦هـ - ٢٩ من أكتوبر ٢٠٢٤م.

وتتقدم أسرة تحرير المجلة والمركز العام بخالص العزاء لأسرة الشيخ وتلاميذه.

فاللَّهمَّ اغفرْ له وارحمْه، وعافِه واعفُ عنْه، وأكرِمْ نُزُلَه، ووسِّعْ مُدخَلَه، واغسِله بالماءِ والثلجِ والبردِ، ونقِّه من الخطايا كما يُنقَّى الثوبُ الأبيضُ من الدَّنسِ، وأبدِله دارًا خيرًا من دارِه، وأهلًا خيرًا من أهلِه، وأدخِله الجنَّةَ، وأعِذه من عذابِ النَّارِ.

اللهم اغفر لعبدك، وارحمه وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبه في الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين. اللهم واجعل قبره روضة من رياض الجنة، وارزقه الفردوس الأعلى من الجنة بمنك وكرمك يا أرحم الراحمين.

الحلقة الأخيرة

من روائع الماضي

الرسول ﷺ بين الميلاد البشري والميلاد النبوي

إعداد الشيخ/ محمد حامد الفقي
رحمه الله

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير الأنبياء والمرسلين؛ نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعدُ:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف من طباع الأمم وتحولها عن دين الحق ما رأى في اليهود والنصارى وقريش. ويزيده الله تعالى بذلك علمًا. ويخشى على أمته أن تتردى في مثل ما تردى فيه أولئك المتردُّون. ويعلم الله أن أهل الكتاب لا بد أن يحاولوا رد كثير من المسلمين عن دينهم إن استطاعوا. وسيبذلون في ذلك كل ما يستطيعون. علم ذلك كله رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فحذَّر أمته أشد التحذير من تلك الفتنة وخوَّف أشد التخويف من دسائس أهل الكتاب، وأعطانا سلاحًا قويًا ندفع به عن أنفسنا كيد أعداء الأنبياء من شياطين الجن والإنس.

ذلك هو القرآن الذي تولَّى الله تعالى بنفسه وضَمن حفظه. والسنة المطهرة التي تركها فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم. من تمسك بهما فلن يضل ولن يشقى ومن أعرض عنهما فإن له معيشة ضنكًا. قال صلى الله عليه وسلم: "تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله وسنتي"، وقال: "وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة"، وقال: "لتركبن سنن من كان قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه"، وقال: "لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القُذَّة بالقذة".

كل ذلك يدلنا دلالة واضحة على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان حذرًا أشد الحذر على أمته من الافتتان بما سيوحيه شياطين الجن والإنس من زخرف القول وغروره، ردًّا لهم عن دينهم، وإرجاعًا لهم إلى الكفر بعد إن أنقذهم الله منه. وبيَّن لنا أن سبيل الشيطان إلى فتنة النصارى وغيرهم هي بعينها سبيله إلى هذه الأمة.. وأن علينا أن ننظر في أصل كفر هؤلاء، وما أدى بهم إلى عداوة عيسى ابن مريم وغيره من الأنبياء.

لنعرفه فنتقيه ونعلمه فنحذره. فإن جهلنا ذلك، وقلنا: إن النصارى وغيرهم كفروا لأنهم يهود ونصارى لا لأنهم غلوا في عيسى، ولا لأنهم شرعوا في دين الله ما لم يأذن به الله واتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ومعابد، واتخذوا لها الأعياد، ولا لأنهم وضعوا في أعناقهم أغلال التقليد الأعمى لقسيسيهم ورهبانهم، وأن قاعدتهم وعمدتهم في الدين والعمل "حطها في رقبة عالم واطلع سالم".

إذا جهلنا ذلك ولم نتبينه حق التبين وقعنا فيه شرًا مما وقعوا، واتخذناه نحن كذلك على مثل ما اتخذوه، عملاً صالحًا وقربة إلى الله، وخيرًا نافعًا. ولا يزال ذلك حتى يملك علينا قلوبنا ويصبغها بصبغة الهوى والفتنة، فتنعكس فطرتها وتنقلب حقيقتها فترى المنكر معروفًا والمعروف منكرًا، والصالح باطلاً والباطل صالحًا، وأهل الخير والهدى أهل ضلال، وأهل الضلال والزيغ أهل الخير والهدي. وحينئذ يعمّنا الله بعذاب من عنده وتحق علينا آية « لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ » (المائدة: ٧٨).

ومن أجل هذا كله نجد القرآن الكريم قد كشف عن أحوال هؤلاء الكفار والمشركين وأسباب كفرهم وأعمال شركهم أتم كشف، وكذلك السنة المطهرة، لنأخذ العبرة ولنتقي ذلك ونحذره.

ومع هذا فقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تلك الأعمال الجاهلية والأعياد الشركية نصًا صريحًا لا يقبل التأويل، ولا يصرفه عن مراده ومقصده إلا مشاق لله ولرسوله، ومتّبع غير سبيل المؤمنين، فقال: "لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"، قالت عائشة: "يحذر مما صنعوا، ولولا ذلك لأبرز قبره"، وقال: "لا تتخذوا قبري عيدًا"، وقال: "لعن الله زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والموقدين عليها السرج".

وقال أبو الهياج الأسدي: "بعثني عليّ رضي الله عنه، وقال: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ألا تجد قبرًا مشرفًا إلا سويته، ولا تمثالا إلا طمسته"، وقال غير ذلك كثير، ولكن الناس اليوم غلبت عليهم -العادات الجاهلية- فطرحوا كل هذا وراء ظهورهم واتبعوا ما شرعه لهم يهود هذه الأمة ورهبانها وقساوستها من تلك الأعياد التي لم يأذن الله ولا رسوله بها، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله؛ يحلون لهم ما حرم الله، ويحرمون عليهم ما أحل الله، وبنوا على القبور المساجد ونصبوا عليه الستور، ووضعوا عندها صناديق النذور، واحتفلوا لها بالأعياد السنوية كل ذلك مضاهاة للمشركين الأولين، وإماتة لسنة وشرعة سيد المرسلين.

وزين لهم شياطين الجن والإنس ذلك بما أوحوا إليهم من زخرف القول: بأن ذلك تعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم، وتعظيم لآل بيته وحب له وحب للصالحين. وكذبوا. فوالله ما هو إلا تعظيم للشرك والمشركين، وحب للشيطان وحزبه الخاسرين، وإلا فهل كان هؤلاء المفتونون الجاهلون الضالون في آخر الزمن الذين يبيعون دين الله بأخس الأثمان؛ ويشترون بآيات الله ثمنًا قليلاً أعرف بفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يعظمه من أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وبقية الصحابة والتابعين والأئمة المهتدين رضي الله عنهم. وهم أحرص على حب الله والرسول من هؤلاء المؤمنين الصادقين؟ كلا والله وألف مرة كلا.

فما بال هؤلاء السلف أعرضوا عن تلك الأعياد، وعن تلك الأنصاب والقباب؟ بل ما بالهم كانوا يحاربونها، ويهدمونها ويطهرون الأرض منها؟

والله ما هي إلا القلوب التي طبع الله عليها. فأبغضت سنة رسول الله وحاولت إطفاء نور الله. وبذلت في ذلك الأموال لتبلغ غايتها. وتحيي ما أمات الله وتميت ما أحيا الله وما كانت تلك القلوب الخبيثة المجرمة إلا قلوب أعداء الإسلام من اليهود والنصارى ومجوس الفرس، لبسوا للناس ثوب الإسلام الظاهر، حين رأوا أن ثوب الحرب لم يفدهم شيئًا. مع استمساك المسلمين بحبل الله المتين وعروة الله الوثقى.

فأعملوا في القلوب والعقائد سلاح بدعهم وأباطيلهم حتى ظفروا واستعمروها وتمكنوا منها، فخربت من ذكر الله، ومن دين الله ومن نور الله. فصرفوهم على أهوائهم كما يشاءون ولعبوا بهم كما يريدون، وأذلوهم بعد العزة، واستبدوا بعد ذلك في الديار والأموال، بعد ما استعبدوا القلوب والنفوس ببدعهم وضلالاتهم. ورحم الله مالك بن أنس رضي الله عنه إذ قال: "والله لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها".

هذه بدعة الأعياد الجاهلية باسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منها بريء، بأبي هو وأمي، وباسم آل بيت رسول الله؛ وهم منها براء. وهذه بدعة القباب ورفع القبور باسم آل بيت رسول الله وهم منها برآء. هذه البدع كلها: أول من ابتدعها الدولة اليهودية المجرمة الخبيثة الفاسدة المفسدة، دولة العبيديين المتسماة كذبًا وزورًا وخداعًا وتغريرًا باسم "الفاطميين" وهم برآء من فاطمة الزهراء عليها السلام. وهي بريئة منهم. هم أول من أحدث قبة على القبر الذي بنوه بالقاهرة باسم الحسين رضي الله عنه، والحسين بريء منهم ومن قبرهم، وزعموا كذبًا أنهم أحضروا رأسه المشرف من المدينة إلى ذلك القبر، ليموّهوا على الدهماء والعامة، وكذّبهم التاريخ، ولا يزال رأس الحسين رضي الله عنه بالمدينة لم يخرج منها، وليس في القبر إلا هواء، كما أن أفئدة العاكفين عنده والمعظمين له والطائفين به وعابديه، هواء في هواء.

وكانوا يزخرفون هذا المنكر بكثرة ما يذبحون من الذبائح وما يطعمون من الطعام، وما يخلعون من الخلع ومن الأموال يشترون بها ذمم الذين باعوا دينهم في سوق الدنيا لأولئك المجرمين؛ واشتروا الحياة الدنيا بالآخرة. وكانوا يقيمون من الألعاب واللهو ما يفتنون به العامة. وكانوا مع هذه الدعوة في حب الحسين وآل الحسين يسبون أبا بكر وعمر-رضي الله عنهما- على المنابر والمآذن عقب الخطب والآذان؛ ويصلون على الشيطان الذي يتسمى باسم الخليفة المعزل لدين الله، والهادم لشرعة رسول الله صلى الله عليه وسلم. قبحهم الله وأذاقهم من عذابه وشديد عقابه ما هم له أهل.

وليس هذا من أولئك اليهود عجبًا. فهم أشد الناس عداوة للذين آمنوا، وإنما العجب أن يقلدهم في ذلك من ينتسب إلى الإسلام، ويترك اتباع النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته واتباع علي رضي الله عنه وآل بيته.

هل يستطيع أحد أن يدعي أن عليًا أحيا مولدًا للنبي صلى الله عليه وسلم؟ أو أن الحسن أو الحسين أو أحد أولاد علي رضي الله عنهم أحيوا مولدًا لأبيهم؟ وهل يستطيع أحد أن يقول: إن الحسن أو الحسين رضي الله عنهما بنوا على قبر أبيهما قبة، ووضعوا عليه مقاصير النحاس المفضضة وستروه بأستار الحرير وأضاءوا عنده الشموع والسرج؟!

أليس هذا من أعجب العجب، أن يكون عليّ

رضي الله عنه هو الذي وظفه رسول الله صلى الله عليه وسلم في هدم القبور العالية وتسويتها بالأرض، وطمس الأنصاب وإزالتها، ثم يجيء المجرمون فيقيمونها باسم علي وأولاد علي؟ اللهم إني أشهد أن هذا أفجر الفجور، وأفحش الفحش، وأشهد أن عليًا وأولاد عليَ رضي الله عنهم مبرؤون من كل هذه القباب والمقاصير والأعياد والموالد الجاهلية؛ وأنهم لو بُعثوا اليوم لكانوا أول من يهدمها ويحارب المعظمين لها والمحتفلين بها.

ووالله إن ذلك الحب المزعوم؛ ما يتخذه أولئك السدنة الدجالون إلا شبكة يصيدون بها العامة والدهماء ليأكلوا أموالهم بالباطل. ولو أنه أغلقت هذه الصناديق وأزيلت تلك القباب، وأبطلت تلك الأعياد، وانقطع مورد السحت الذي يملؤون به بطونهم. لو وقع هذا ما فكروا في عليَ ولا في أولاد عليَ. ولا في أحد من أولئك الموتى الصالحين؛ ولا خطر لهم ببال، وهو لم يخطر لهم اليوم ببال، وانما هو الدجل الذي كان يتأكل منه رهبان النصارى وأحبار اليهود باسم أنبيائهم وصالحيهم، وطريقة واحدة سلكوها، وشبكة واحدة أتقنوا صنعها؛ وانا لله وانا إليه راجعون.

هذا ولم يزل علماء الإسلام ومصابيح الهداية الذين لم يستطع العبيديون ولا غير العبيديين أن يشتري ضمائرهم ولا ذممهم مهما كان من مال أو وظيفة أو رياسة أو دنيا، ولم تجد زخارف الشيطان إلى قلوبهم سبيلاً؛ ولا يزال يشع في قلوبهم نور الايمان والعلم النبوي؛ ولا تزال نفوسهم حية قوية الحياة بروح القرآن وهدايته. لم يزل أولئك العلماء المهتدون، لا يزالون قائمين على الحق؛ واقفين لحزب الشيطان بالمرصاد، أخذوا عدتهم وادرعوا السُّنة المحمدية ورفعوا سيف القرآن على عنق البدعة وأهلها، يعرضون بها في كل وقت وينادون بها في كل مجتمع وبلد؛ ويصبرون على ما ينالهم من أذى ألسنة المبتدعين وأيديهم، يقتدون برسول الله واخوانه الأنبياء «وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ» (الأنعام: ٣٤) يقولون كلمة الحق عالية مهما آذت الخرافيين؛ ويصكون في وجوههم بسيرة السلف الصالح، وان كانوا لها كارهين؛ لا يثنيهم عن ذلك تشنيع دعاة البدعة، عُمي الأبصار والبصائر، ولا يهمهم ما يشيعونه عنهم من بهتان مبين، ولا يعبأون بما يزخرفون على الدهماء والعامة من أن فلانًا يكره رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه يمنع من إقامة المولد له، ويبغض الحسين وآل البيت رضي الله عنهم لأنه يكره ما أقيم على قبورهم من أنصاب وأوثان، وما يفعله أمثال الأنعام، عندها من دعاء للمقبور واستغاثة به، تقبيل للأحجار والمقاصير وتمسح بها وطواف حولها. كل ذلك التشنيع والتهويش لا يعبأ به أنصار سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يعيرونه من نفوسهم أدنى التفات، ولا يزيدون على «قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» (آل عمران: ١١٩).

لا يزال أولئك العلماء يقومون لله ولرسوله بدفع هذه البدع وتحذير الناس منها في كل زمان ابتغاء وجه الله، لا يريدون من الناس جزاء ولا شكورًا؛ ولا يخافون في الله لومة لائم. فمن أولئك العلماء الأجلاء الذين أنكروا بدعة مولد النبي صلى الله عليه وسلم:

الإمام أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي من أئمة العلماء بالمغرب، وشارح كتاب الموطأ. أحد

شيوخ الإمام ابن عبد البر الأندلسي. توفي سنة ٤٩٤. وقد سئل عن بدعة المولد فقال رحمه الله، ورحمنا معه:

لا أعلم لهذا المولد أصلاً في كتاب ولا سنة، ولا يُنقل عمله عن أحد من علماء الأمة الذين هم القدوة في الدين، المتمسكون بآثار المتقدمين، بل هو بدعة أحدثها البطالون؛ وشهوة نفس اعتنى بها الأكالون؛ بدليل أنا إذا أدرنا عليه الأحكام الخمسة، قلنا: إما أن يكون واجبًا، أو مندوبًا، أو مباحًا، أو مكروهًا، أو محرمًا. وليس هو بواجب إجماعًا ولا بمندوب، لأن حقيقة المندوب ما طلبه الشرع من غير ذم على تركه، وهذا لم يأذن فيه الشرع ولا فعله الصحابة ولا التابعون ولا العلماء المتدينون فيما علمت.

وهذا جوابي عليه بين يدي الله تعالى إن سئلت عنه.

ولا جائز أن يكون مباحًا؛ لأن الابتداع في الدين ليس مباحًا بإجماع المسلمين.

فلم يبق إلا أن يكون مكروهًا أو حرامًا، وحينئذ يكون الكلام فيه في فصلين.

والتفرقة بين حالين:

إحداهما: أن يعمله رجل من عين ماله لأهله وأصحابه وعياله ولا يجاوزون في ذلك الاجتماع أكل الطعام، ولا يقترفون شيئًا من الآثام؛ وهذا الذي وصفناه بأنه بدعة مكروهة وشناعة. إذ لم يفعله أحد من متقدمي أهل الطاعة الذين هم فقهاء الإسلام وعلماء الأنام، وسرج الأزمنة، وزين الأمكنة.

والثاني أن تدخله الجناية؛ وتقوم به العناية؛ حتى يعطي أحدهم السحت ونفسه تتبعه وقلبه يؤلمه ويوجعه؛ لما يجد من ألم الحيف. وقد قال العلماء: أخذ المال بالحياء كأخذه بالسيف، لا سيما إذا انضاف إلى ذلك شيء من الغناء مع البطون الملئ بآلات الباطل من الدفوف والشبابات واجتماع الرجال مع الشباب المرد والنساء الفاتنات؛ أو مختلطات بهم أو متشرفات، والرقص بالتثني والانعطاف؛ والاستغراق في اللهو، ونسيان يوم المخاف. وكذلك النساء إذا اجتمعن على انفرادهن رافعات أصواتهن بالتطريب في الإنشاد والخروج في التلاوة والذكر عن المشروع والأمر المعتاد غافلات عن قوله تعالى «إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ» (الفجر: ١٤).

وهذا الذي لا يختلف في تحريمه اثنان، لا يستحسنه ذوو المروءة الفتيان، وإنما يحلو ذلك لنفوس موتى القلوب وغير المستقلين من الآثام والذنوب. وأزيدك أنهم يرونه من العبادات؛ لا من المنكرات والمحرمات، فإنا لله وإنا إليه راجعون "بدأ الإسلام غريبا وسيعود كما بدأ".

أما بعد فليس تلك الملاهي والمفاسد التي تقام باسم النبي صلى الله عليه وسلم، وليس ما يعمله أهل الطرق الصوفية من رقصهم وغنائهم، وألاعيبهم التي يضيعون لأجلها الصلوات، ويهتكون بها المحرمات، ويشاقون بها الله والرسول. ليس شيء من ذلك مما يحبه الله والرسول، ولا كان يدعو إليه الرسول؛ وإنما كان من أشد ما ينهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم.

وإنما إحياء ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم- كما قلنا- بإحياء العمل بسنته، واتباع دينه والوقوف عند حدوده، لا بتلك المهازل التي تدمي قلب الإسلام، وتصيبه في الصميم، من فسوق وفجور وسفه وطيش؛ وبدع وخرافات.

والحمد لله رب العالمين.

قصة مفتراة على الصحابي البَدْري أبي اليَسَرِ الأنصاريّ

إعداد الشيخ/ علي حشيش

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، فنواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم، حتى يقف على حقيقة هذه القصة الواهية التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ، والى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

أولا: أسباب ذكر هذه القصة:

١- هذه القصة اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ، ومما ساعد على ذلك وجودها في بعض كتب السنة الأصلية، وهى الكتب التي صنفها مؤلفوها عن طريق تلقيها عن شيوخهم بأسانيد إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

٢- وسنقوم بتوفيق الله بتخريجها وتحقيقها وكشف عارها، وبيان عوارها وأن الصحابي الجليل أبا اليسر بريء من هذه القصة، ولم تصح عنه، كما سنبين من النقد الخارجي "نقد السند"، ومن النقد الداخلي "نقد المتن"، وذلك لأن عددا من المفسرين أوردوا في تفاسيرهم قصة الصحابي الجليل أبى اليسر؛ لوجودها في بعض كتب السنة الأصلية.

ومن هذه التفاسير على سبيل المثال لا الحصر:

أ- الثعلبي في تفسيره "الكشف والبيان عن تفسير القرآن" (١٩٣/٥)، ط دار إحياء التراث، ببيروت.

ب- البغوى في تفسيره "معالم التنزيل في تفسير القرآن" (٤٩٦/٢)، ط دار إحياء التراث ببيروت.

جـ- الجرجاني في تفسيره "درج الدور في تفسير الآي و السور" (١١٦/٢)، ط دار الفكر، عمان.

د- الزمخشرى في تفسير "الكشاف من حقائق غوامض التنزيل" (٤٥٣/٢) ط دار الكتاب- بيروت.

هـ- القرطبي في تفسير "الجامع لأحكام القرآن" (١١١/٩)، ط دار الكتب المصرية.

و- الخازن في تفسيره "لباب التأويل في معاني التنزيل" (٥٠٦/٢) ط دار الكتب العلمية بيروت.

وقال: "قوله عز وجل: ﴿وأقم الصَّلاةَ طرفي النهار﴾ سبب نزول هذه الآية ما رواه الترمذي عن أبى اليسر...".

ز- ولذلك أوردها السيوطي في "لباب النقول في أسباب النزول ط دار إحياء العلوم، ببيروت. وقال: أخرج الترمذي عن أبي اليسر قال: "أتتني امرأة تبتاع تمراً.." الحديث.

ثانيا: المتن:

عَنْ أَبِي الْيَسر قَال: أَتَتْنِي امْرَأَةٌ تَبْتَاعُ تَمْراً، فَقُلْتُ: إن فِي الْبَيْتِ تَمْراً أَطيب مِنْهُ. فَدخلتْ مَعِي فِي الْبَيْتِ، فَأَهْوَيْتُ إِلَيها فَقَبَّلْتُها، فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْر فَذَكَرْت ذَلِكَ لَهُ، قَالَ: اسْتُرْ عَلَى نَفْسِكَ وَتُبْ وَلاَ تُخْبِرْ أَحداً. فَلَمْ أَصْبِرْ فَأَتَيْتُ عُمر فَذَكَرْت ذَلِكَ لَهُ. فَقَال: اسْتُرْ عَلَى نَفْسِكَ وَتُبْ وَلاَ تُخْبِرْ أَحداً. فَلَمْ أَصْبِرْ فَأَتَيْتُ رَسُول اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَذَكَرْت ذَلِكَ لَهُ. فَقَال لَهُ "أَخَلَفْتَ غَازِياً فِي سَبِيلِ اللهِ فِي أَهْلِهِ بِمِثْلِ هذا". حَتَّى تَمَنَّى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَسْلَمَ إِلاَّ تِلْكَ السَّاعَةَ، حَتَّى ظَنَّ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ. قَال: وَأَطْرَقَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم طَوِيلاً حَتَّى أَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: "وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل"، إلى قَوْلِهِ: "ذكرى للذاكرين". قَال أَبُو الْيَسَر فَأَتَيْتُهُ فَقَرَأَهَا عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم. فَقَال أَصْحَابُهُ: يا رَسُولَ اللهِ، أَلِهَذا خَاصَّةً أَمْ لِلنَّاسِ عَامَّةً؟ قَال: "بَلْ لِلنَّاسِ عَامَّةً".

ثالثا: النقد الداخلي "المتن":

هذه قصة مفتراة على الصحابي الجليل ولا تصح، كما سنبين من التخريج والتحقيق وبيان ما في الإسناد من علة، وهذا ما يسمى بالنقد الخارجي، وفى هذا المنهج ردٌ على ادعاء المستشرقين- جهلاً وبهتاناً- بأن المحدثين اعتنوا بالنقد الخارجي أي من ناحية الرواة، ولم يعتنوا بالنقد الداخلي وهو نقد المتن". اهـ.

وإلى القارئ الكريم النقد الداخلي نقد المتن المفترى على الصحابي الجليل أبي اليسر:

١- وللسائل أن يسأل: من هو الصحابي أبو اليسر؟

يجيب عن هذا السؤال الإمام الذهبي في "سير أعلام النبلاء" (٣٤١/٢٦٩/٣) ط مكتبة الصفا- القاهرة قال:

أبو اليسر كعب بن عمرو الأنصاري السَّلمي، المدني، البدري، العقبي، الذي أسر العباس رضي الله عنهما يوم بدر، شهد العقبة، وله عشرون سنة، وهو الذي انتزع راية المشركين يوم بدر، ومناقبه كثيرة، وقد شهد صفين مع عليّ، ومات: بالمدينة في سنة خمس وخمسين، وهو آخر من مات ممن شهد بدراً". اهـ.

قلت: وهذه الإجابة تتفق تمام الاتفاق مع ما أورده الإمام الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (٣٦٨هـ- ٤٦٣هـ) في كتابه "الاستيعاب في أسماء الأصحاب" ترجم له في الكنى، وزاد إيضاحا فقال: "أبو اليسر كعب بن عمرو شهد بدراً بعد العقبة، فهو رضي الله عنه عقبي بدري، وهو الذي أسر العباس بن عبد المطلب يوم بدر، وكان رجلاً قصيراً والعباس رجلا طويلاً نجماً جميلاً، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "لقد أعانك عليه ملك كريم"، وهو الذي انتزع راية المشركين وكانت بيد أبي عزيز بن عمير يوم بدر". اهـ.

٢- هذا هو الصحابي الجليل أبو اليسر الأنصاري شهد العقبة، فهو من السابقين الأولين في قول رب العالمين: "والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه" (التوبة: ١٠٠).

استنتاج: نستنتج مما أوردناه أن الصحابي الجليل أبا اليسر مناقبه كثيرة، ومنازله عظيمة، فهو في منزلة السابقين الأولين، وفي منزلة الرضا، وفي منزلة الإحسان فمن المحال صحابي في منازل الأبرار، يفعل أفعال الفجار، فمن إفكهم ليقولون: إن أبا اليسر جاءته أمة تبتاع تمراً، فقال لها: إن في البيت تمراً أطيب منه، فدخلت معه البيت، فأهوى إليها فقبلها.

والنكارة ظاهرة على هذا الحديث؛ لأن أبا اليسر الصحابي الجليل كما بينا آنفاً أنه في مقام الرضا والإحسان يعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فالله تعالى يراه، فمن المحال عبدٌ في مقام الإحسان يتبع خطوات الشيطان من مكر واستدراج لامرأة جاءت تشتري منه تمراً، فيستدرجها إلى البيت بإغرائها أنّ في البيت أطيب التمر.

وكانت الخطوة الثانية الشيطانية: أنه استدرجها حتى أدخلها معه البيت، ثم كانت الخطوة الثالثة بعد أن استخفى من الناس أهوى إليها يقبلها. قال تعالى: "وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ" (النور: ٢١).

قلت: وهذا الحديث الذي جاءت به القصة حديث منكر، وسنبين من النقد الخارجي (نقد الإسناد) أن في الإسناد من هو منكر الحديث، والقصة مفتراة على الصحابي الجليل أبي اليسر الأنصاري، رضي الله عنه.

٣- كذلك الصحابي الأنصاري أبو اليسر البدري الذي شهد بدراً، بل كان من أعلام غزوة بدر، فقد أسر سيد قريش العباس بن عبد المطلب، ونزع راية المشركين، وكانت بيد أبي عزيز بن عمير يوم بدر، فهو من الشجعان الكرام، فمن أمحل المحال أن يفعل أفعال اللئام، بامرأة كان زوجها غائباً عنها غازياً في سبيل الله، كما جاء في متن هذا الحديث المنكر.

٤- ومما يشهد على نكارة هذه القصة، وأنها مفتراة على الصحابي الجليل أبا اليسر ما أخرجه مسلم في "صحيحه" في كتاب "الزهد والرقائق" (ح٧٥)، بوّب له الإمام النووي الباب (١٨)- باب: "حديث جابر الطويل، وقصة أبي اليسر"، وفيه ما يشهد على استمرارية ما بايع عليه النبي صلى الله عليه وسلم يوم العقبة من السمع والطاعة واتباع النبي صلى الله عليه وسلم، حيث يقول أبو اليسر: فأشهد بصري عيني هاتين ووضع إصبعيه على عينيه، وسمع أذني هاتين، ووعاه قلبي هذا، (وأشار إلى قلبه)، ثم يذكر ما رأى وما سمع وما وعاه قلبه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويطبقه على نفسه في قصة طويلة في هذا الحديث لا تتحمله المساحة المتاحة للنشر: (طبقه تطبيقاً فعلياً مرتين)، فليرجع إليه.

رابعاً: التخريج:

الحديث الذي جاءت به هذه القصة:

١- أخرجه الإمام الترمذي في "السنن" (ح٥) قال: حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن، أخبرنا يزيد بن هارون، أخبرنا قيس بن الربيع، عن عثمان بن عبد الله بن وهب، عن موسى بن طلحة، عن أبي اليسر قال: "وأتتني امرأة تبتاع تمراً..." القصة.

٢- وأخرجه الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره "جامع البيان في تأويل القرآن" (١١٤/٧) (ح١٨٦٩٧) قال: "حدثني الحارث قال: حدثنا عبد العزيز قال، حدثنا قيس بن الربيع به.

خامساً: النقد الخارجي: (نقد الإسناد)

الحديث الذي جاءت به هذه القصة القصة المفتراة على الصحابي أبي اليسر الأنصاري علته: قيس بن الربيع، وهو الأسدي الكوفي: قال الإمام الحافظ الجوزجاني في "أحوال الرجال" (٧٥): "ساقط". وقال الإمام الذهبي في "الميزان" (٦٩١١/٢٩٣/٣): "سيئ الحفظ، وقال يحيى بن معين: لا يكتب حديثه". وقال النسائي: "متروك". وقيل لأحمد بن حنبل: لماذا تركوا حديثه؟ قال لأنه كان يتشيع، وكان كثير الخطأ، وله أحاديث منكرة". اهـ.

وقال الإمام الحافظ ابن حبان كما في المجروحين (٢١٧/٢): "قيس بن الربيع الأسدي: تركه يحيى القطان، أما يحيى بن معين فكذبه، وقال: ليس بشيء، ثم قال ابن حبان: لما كبر ساء حفظه وامتحن بابن سوء فكان يدخل عليه. قال عفان: "لما قدمت الكوفة أتيناه فجلسنا إليه فجعل ابنه يلقنه". اهـ.

قلت: بهذا يتبين أن قيس بن الربيع: ساقط، متروك، ليس بشيء، كثير الخطأ، فحديثه ساقط لا يصح.

تنبيه: حتى لا يتقول من لا دراية له بالصناعة الحديثية، فقد بينا أن قيس بن الربيع ساقط متروك، لا تصح متابعاته. والحديث الذي أخرجه النسائي في "السنن الكبرى" (ح٧٣٢٧) من طريق شريك عن عثمان بن موهب، به. فشريك لا يزيد الحديث إلا وهناً على وهن.

قال الإمام الحافظ الجوزجاني في "أحوال الرجال" (١٣١): "شريك بن عبد الله النخعي سيئ الحفظ، مضطرب الحديث مائل". اهـ. وقال الحافظ ابن حجر في "التقريب" (٣٥١/١): "شريك يخطئ كثيراً". وقال الحافظ العراقي في "شرح الألفية" (ص٧): من كثرة الخطأ في حديثه وفحش استحق الترك ولو كان عدلاً". اهـ.

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

درر البحار
في بيان ضعيف الأحاديث القصار

إعداد / الشيخ/ علي حشيش

"الذكرُ نعمة من الله تعالى فأدوا شُكرها".

الحديث: لا يصح: أورده الإمام السيوطي في "مخطوطة دور البحار في الأحاديث القصار" (١/٤٣) مكتبة الحرم النبوي "الحديث"، رقم المخطوطة (٢١٣/١٠٧)، وقال: "أبو نعيم عن نبيط بن شريط".

قلتُ: فالحديث عزاه الإمام السيوطي لأبي نعيم في "نسخة نبيط بن شُريط"، وهذا تخريج بغير تحقيق فيتوهم من لا دراية له بالصناعة الحديثية أن الحديث صحيح، وهو كما سنبين أنه حديث "موضوع".

أولاً: التخريج:

١- الحديث أورده الإمام السيوطي في "مخطوطة درر البحار في الأحاديث القصار".

وعزاه لأبي نعيم في "نسخة نبيط بن شريط" كما بينا آنفاً.

٢- والحديث نفسه أورده الإمام السيوطي في "الجامع الصغير" (ح٦٨٠٧) وقال: "فر عن نبيط بن شريط".

قلتُ: "فر" ترمز إلى "مسند الفردوس" للديلمى.

٣- وانتقد المناوي في كتابه "فيض القدير شرح الجامع الصغير" (٢٥٦٩/٣) (ح٤٣٥١) تخريج الإمام السيوطي وعزوه الحديث في "مسند الفردوس" للديلمي، فقال المناوي: "ورواه أيضاً أبو نعيم، وعنه تلقاه الديلمي مصرحاً، فإهمال المصنف الأصل، واقتصاره على الفرع غير جيد". اهـ.

٤- قلت: والإمام السيوطي رحمه الله لم يهمل الأصل، ولو رجع المناوي، عفا الله عنا وعنه، إلى "مخطوطة درر البحار في الأحاديث القصار" يجد أن السيوطي عزاه أيضاً لأبي نعيم كما بينا آنفاً.

٥- الربط بين التخريجين في رواية "أبى علي الحداد عن أبى نعيم" نسخه نبيط بن شريط فالحديث أخرجه أبو منصور الديلمي في "مسند الفردوس" (ح١٦٥٧- الغرائب الملتقطة) قال: أخبرنا الحداد، أخبرنا أبو نعيم، حدثنا أبو جعفر محمد بن إبراهيم المكي، حدثنا أحمد إسحاق بن إبراهيم بن نبيط بن شريط، عن أبيه إبراهيم، عن أبيه نبيط قال: قال رسول الله صلى عليه وسلم: "الذكر نعمة من الله فأدوا شكرها".

ثانياً: التحقيق:

قال الإمام الذهبي في "الميزان" (٢٩٦/٨٢/١): "أحمد بن إسحاق بن إبراهيم بن نبيط بن شريط عن أبيه عن جدَه بنسخة فيها بلايا، فلا يحل الاحتجاج به، فإنه كذاب".

الاستنتاج: من التخريج والتحقيق نستنتج أن الحديث "موضوع".

الألفاظ الموهمة في باب الصفات..
بين الإجمال والاستفصال (٥)

تصور أئمة أهل السنة لمصطلح (التجسيم) الموهم، وردُّ مبتدعيه من أهل التجهم والاعتزال والكلام

إعداد أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله. والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فمن العجب أن من ذكرنا أوصافهم - أعني: أهل التجهم والاعتزال والكلام - "سمُّوا توحيد الرسل: شركًا وتجسيمًا وتشبيهًا!! مع أن التوحيد غاية الكمال. وسمُّوا تعطيلهم وإلحادهم وبغيهم توحيدًا وهو غاية النقص؛ ونسبوا أتباع الرسل إلى تنقيص الرب وقد سلبوه كل كمال. وزعموا أنهم أثبتوا له الكمال وقد نزَّهوه عنه. هذا هو توحيد (الجهمية) و(المعطلة).

وأما توحيد الرسل؛ فهو: إثبات صفات الكمال له وإثبات كونه فاعلاً بمشيئته وقدرته واختياره، وإن له فعلاً حقيقة؛ وأنه وحده الذي يستحق أن يُعبَد ويُخاف ويُرجى ويُتوكَّل عليه؛ فهو المستحقّ لغاية الحب بغاية الذل. وليس لخلقه من دونه وكيل ولا ولي ولا شفيع؛ ولا واسطة بينه وبينهم في رفع حوائجهم إليه، وفي تفريج كرباتهم وإجابة دعواتهم؛ اللهم إلا في تبليغ أمره ونهيه وأخباره؛ فلا يعرفون ما يحبه ويرضاه ويبغضه ويسخطه ولا حقائق أسمائه وتفصيل ما يحب له ويمتنع عليه ويوصف به؛ إلا من جهة هذه الواسطة.

فجاء هؤلاء الملاحدة فعكسوا الأمر وقلبوا الحقائق: فنفوا كون الرسل وسائط في ذلك؛ وقالوا: يكفي توسط العقل ونفوا - بموجب عقولهم القاصرة - حقائق أسمائه وصفاته وقالوا: هذا هو التوحيد.

ويقولون: نحن ننزِّه الله عن الأعراض والأبعاض والحدود والجهات، وحلول الحوادث، فيسمع الغِرُّ المخدوع هذه الألفاظ فيتوهم منها أنهم ينزِّهون الله عما يُفهم من معانيها عند الإطلاق والنقائص والحاجة؛ فلا يَشك أنهم يمجِّدونه ويعظِّمونه، ويكشف الناقد والنافذ البصير ما تحت هذه الألفاظ فيرى تحتها: الإلحاد وتكذيب الرسل وتعطيل الرب تعالى عما يستحقه من كماله" هكذا كشف ابن القيم في (صواعقه) ص١٢٩ حقيقة أهل الإثبات والذين يتهمونهم ظلمًا وزورًا

وبهتانًا؛ بالتجسيم.

١ - تصوُّر عموم أئمة أهل السنة لـ(مصطلح التجسيم) المُبتدع:

هذا، وقد اتفق السلف وعموم أهل السنة على أن (لفظ: الجسم) لفظٌ مجمل يُتوقف فيه فلا نثبته ولا ننفيه لاحتمال صحة معناه؛ لكن لا نطلقه على الله لكونه لفظًا مبتدعًا. وأما (معناه) فيُستفصل فيه، فإن أُريد به الباطل الذي هو: (معهود من الخلق من أجزاء وأبعاض مفتقر بعضها إلى بعض)؛ رددناه، لأنه يقتضي مماثلة الخالق بصفات المخلوق وهذا باطل وليس حقًا، وقد أبطله الله بقوله: «لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ» (الشورى: ١١)، وقوله: «فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ» (النحل: ٧٤)، وغير ذلك من الآيات التي تقطع دابر مماثلة الله بخلقه. وإن أُريد به الحق؛ وهو: (الذات الكاملة من كل وجه المتصفة بصفات الجلال والكبرياء والبهاء والعظمة على وجه لا يماثل صفات المخلوقين) قبلناه لئلا يُدَّعى على أهل السنة المثبتة: أنهم ينفون ذاته تعالى وصفاته، لكن لا نسمِّيه جسمًا بل نسميه بما سماه به النص؛ وهو: (الذات والصفات) فإن هذا المعنى حق ولا نطلق عليه جسمًا؛ لأن الحق لا ينبغي أن يُعبَّر عنه بلفظ مجمل، وعليه فيقال: (لله ذات، وله صفات تليق بذاته). ومن هذا المنطلق كانت كلمة أهل السنة وسلف الأمة على نفي الجسمية عن الله تعالى.

٢ - نفي (الجسمية) عن الله لدى عموم أهل السنة، بالمقارنة لنفيها لدى معطلة الجهمية ومن تبعهم:

وقد نشأ القول بالجسمية - إضافة لما سبق ذكره - على إثر ما أحدثته مقولة الجهم بن صفوان من أن الله تعالى بذاته (موجود في كل الوجود) وأنه (هذا الهواء الذي في كل مكان)، من أثر سيئ في نفوس أتباعه ومِن ورائهم المتكلمة، لاستلزامها نفي استوائه تعالى على عرشه وعلوه على خلقه وعدم صونه عن أقبح الأماكن وأقذرها. ولمّا كان لها من صدى في تعطيل كليٍّ أو جزئيٍّ لصفات الكمال لله وإفضائها إلى أنه تعالى إما معدوم لا وجود له إلا في الذهن، أو يكون هو عين العالم ساريًا فيه. وأيضًا لما أسفرت عنه من نفي مفصل واتصافه سبحانه بصفات سلوبٍ جنح إليها متأخرو الأشاعرة تأثرًا بالجهمية والمعتزلة. وعلى إثر كل هذا عكف أئمة أهل السنة على ردِّ تلك المقولة الآثمة والبدعة المنكرة.

وفيما يُعدُّ في باب المقارنات، إجمالاً وجمعًا لأطراف هذه القضية: يقول الذهبي - في العلو ص١٠٧ وهو بمختصره ص١٤٦ - إبان تعليقه على ما قاله حماد بن زيد من أن الجهمية (يدورون على أن يقولوا: ليس في السماء إله) -: "مقالة السلف وأئمة السنة، بل والصحابة والله ورسوله والمؤمنون: (أن الله في السماء، وأن الله على العرش، وأن الله فوق سماواته، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا)، وحجتهم على ذلك النصوص والآثار. ومقالة الجهمية: (أن الله في جميع الأمكنة)، تعالى الله عن قولهم، بل هو معنا أينما كنا بعلمه. ومقالة متأخري المتكلمين - وهم الأشعرية تبعًا للمعتزلة-: (أن الله ليس في السماء ولا على العرش، ولا على السماوات ولا في الأرض، ولا داخل العالم ولا خارج العالم، ولا هو بائن عن خلقه ولا متصل بهم!)، وقالوا: (جميع هذه الأشياء صفات الأجسام والله منزه عن الجسم)، قال لهم أهل السنة والأثر: (نحن لا نخوض في ذلك ولا نقول بقولكم، فإن هذه السلوب نعوت المعدوم، تعالى الله جل جلاله عن العدم، بل هو موجود متميز عن خلقه موصوف بما وصف به نفسه، من أنه فوق العرش بلا كيف)".

ومن المهم أن نسرد في هذا المقام بعضًا من نصوص

وأقوال السلف وأئمة السنة بشيء من التفصيل، لترسيخ ما أجمعوا من المعاني الصحيحة في هذه القضية.

٣- إجماع أهل السنة على (إثبات الصفات لله) و(نفي الجسمية عنهما) خلافا للجهمية ومن تبعهم ممن نفوها مع التعطيل:

ومن غير ما سبق أن ذكرناه لأبي الحسن؛ وما أجمع عليه أئمة أهل السنة من إثبات نزوله تعالى ومجيئه وإتيانه على النحو الذي يليق بجلاله على ما هو مفصل في كتابنا: (قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله على ظاهرها دون المجاز). يقول ابن سريج فقيه العراق ت٣٠٦: "جميع الآي الواردة في ذاته وصفاته، والأخبار الصادقة الصادرة عن رسول الله وفي صفاته التي صححها أهل النقل وقبلها النقاد الأثبات، يجب على المرء المسلم المؤمن الموفق:

الإيمان بكل واحد منه كما ورد، وتسليم أمره إلى الله كما أمر، وذلك مثل قوله تعالى: « هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ» (البقرة: ٢١٠)، وقوله: « وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا» (الفجر: ٢٢). ونظائرها مما نطق به القرآن: كـ(الفوقية والنفس واليدين، والسمع والبصر والكلام، والعين والنظر والإرادة، والرضا والغضب والمحبة والكراهة، والعناية والقرب والبعد والسخط والاستحياء، والدنو كقاب قوسين أو أدنى، وصعود الكلام الطيب إليه، وعروج الملائكة والروح إليه ونزول القرآن منه، وندائه الأنبياء عليهم السلام وقوله للملائكة، وقبضه وبسطه.. ونوره وتجلّيه، والوجه وخلق آدم عليه السلام بيده، ونحو: سماعه من غيره وسماع غيره منه)، وغير ذلك من صفاته المتعلقة به المذكورة في الكتاب المنزل على نبيه.

وجميع ما لفظ به المصطفى من صفاته: كغرسه جنة الفردوس بيده، وشجرة طوبى بيده، وخط التوراة بيده، والضحك والتعجب، ووضعه قدمه على النار فتقول قط قط، وذكر الأصابع، والنزول كل ليلة إلى سماء الدنيا وليلة الجمعة وليلة القدر. وكغَيرته وفرحه بتوبة العبد واحتجابه بالنور وبرداء الكبرياء، وأنه ليس بأعور وأنه يُعرض عما يكره ولا ينظر إليه، وأن كلتا يديه يمين، واختيار آدم قبضته اليمنى، وأنه يوم القيامة يحثو ثلاث حثوات من جهنم فيدخلهم الجنة، و(لمّا خلق آدم مسح ظهره بيمينه فقبض قبضة فقال: هؤلاء للجنة ولا أبالي أصحاب اليمين، وقبض قبضة أخرى وقال: هذه للنار ولا أبالي أصحاب الشمال، ثم ردَّهم في صلب آدم). وحديث القبضة التي (يخرج بها من النار قومًا لم يعملوا خيرًا قط عادوا حممًا فيُلقون في نهر من الجنة يقال له نهر الحياة)، وحديث: (لا تقبحوا الوجه فإن الله خلق آدم على صورة الرحمن)، وإثبات الكلام بالحرف والصوت وباللغات وبالكلمات وبالسور.. وغير هذا مما صح عنه صلى الله عليه وسلم من الأخبار المتشابهة الواردة في صفات الله، ما بلغنا وما لم يبلغنا مما صح عنه.

اعتقادنا في ذلك: أن نقبلها ولا نَرُدّها ولا نتأولها بتأويل المخالفين، ولا نحملها على تشبيه المشبهين، ولا نزيد عليها ولا ننقص منها، ولا نفسرها - يعني: تفسيرًا يخرجها عن ظاهر معناها كما كان يفعل أتباع جهم- ولا نكيّفها.. بل نطلق ما أطلقه الله ونفسّر ما فسّره النبي وأصحابه والتابعون والأئمة المرضيون من السلف المعروفين بالدين والأمانة، ونُجمع على ما أجمعوا عليه ونُمسك عما أمسكوا عنه، ونُسلم للخبر الظاهر والآية الظاهرة، لا نقول بتأويل (المعتزلة) و(الأشعرية) و(الجهمية) و(الملحدة) و(المجسمة) و(المشبهة) و(الكرّامية) و(المكيفة)، بل نقبلها بلا تأويل

ونؤمن بها بلا تمثيل، ونقول: الإيمان بها واجب، والقول بها سنة، وابتغاء تأويلها بدعة".

ويقول الإمام الجويني (ت٤٣٨) في رسالته في الاستواء وهي بـ(المجموعة المنيرية) ١/ ١٨٣: "ليس من الإنصاف أن يفهموا في (الاستواء والنزول والوجه واليد) صفات المخلوقين، فيحتاجون إلى التأويل والتحريف.. فإن فهموا في هذه الصفات ذلك، فيلزمهم أن يفهموا في (الصفات السبع) صفات المخلوقين من الأعراض!! فما يُلزموننا به في تلك الصفات من (التشبيه والجسمية)، نُلزمهم في هذه الصفات في (العَرَضية)، وما ينزِّهون ربهم به في الصفات السبع وينفونه عنه من عوارض الجسم فيها، فكذلك نحن نعمل في تلك الصفات التي ينسبوننا فيها إلى التشبيه سواء بسواء. ومن أنصف؛ عرف ما قلناه واعتقده وقبل نصيحتنا؛ ودان الله بإثبات جميع صفاته هذه وتلك؛ ونفى عن جميعها التعطيل والتشبيه والتأويل والوقوف، وهذا مراد الله منّا في ذلك؛ لأن هذه الصفات وتلك جاءت في موضع واحد وهو الكتاب والسنة، فإذا أثبتنا تلك بلا تأويل، وحرفنا هذه وأوّلناها، كنا كمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض، وفي هذا بلاغ وكفاية".

ويقول البيهقي (ت ٤٥٨) في كتابه (الاعتقاد) ص٩٣: "يجب أن يُعلم أن استواء الله ليس باستواء اعتدال عن اعوجاج ولا استقرار في مكان، ولا مماسَّة لشيء من خلقه، ولكنه مستو على عرشه كما أخبر، بلا كيف، بلا أين، بائن من جميع خلقه، وأن إتيانه تعالى ليس بإتيانٍ من مكان إلى مكان، وأن مجيئَه ليس بحركة، وأن نزوله ليس بنقلة، وأن نَفْسَه ليس بجسم، وأن وجهه ليس بصورة، وأن يده ليست بجارحة، وأن عينه ليست بحدقة، وانما هي أوصاف جاء به التوقيف فقلنا بها ونفينا عنها التكييف، فقد قال تعالى: «ليس كمثله شيء»، وقال: «ولم يكن له كفوًا أحد»".. فكان أن أثبت - رحمه الله - صفات الخبر والفعل لله بعد أن نفى عنها التأويل والتجسيم والتشبيه بالحوادث، وقد مثَّل هذا الذي أفصح عنه: مذهبه الذي وافق فيه مذهب سلف الأمة قاطبة.

٤- ابن عبد البر يتوسع في إثبات صفات النزول والمجيء، وينفي عن الله بصفاته الجسمية:

وممن ساق الإجماع على ما ذكرنا: الإمامُ ابنُ عبد البر (ت٤٦٣)، قال - في التمهيد ٧/ ١٤٣ لما انتهى إلى شرح حديث النزول -: "هذا حديث صحيح وفيه دليل على أن الله في السماء على العرش فوق سبع سماوات كما قالت الجماعة، وهو من حجتهم على المعتزلة والجهمية في قولهم: (إن الله في كل مكان وليس على العرش). والدليل على صحة ما قاله أهل الحق في ذلك". ثم قال بعد أن ساق أدلة الاستواء ودحض شبهات مَن أنكره:

"ولا ندفع ما وصف به نفسه لأنه دفعٌ للقرآن، وقد قال الله: «وجاء ربك والملك صفًا صفًا»، وليس مجيئُه حركةً ولا زوالاً ولا انتقالاً، لأن ذلك إنما يكون إذا كان الجائي جسمًا أو جوهرًا، فلما ثبت أنه ليس بجسم ولا جوهر؛ لم يجب أن يكون مجيئه حركة ولا نُقلة، ولو اعتبرتَ ذلك بقولهم: (جاءت فلانٌ قيامته) و(جاءه الموت) و(جاءه المرض) وشبه ذلك مما هو موجود نازل به؛ ولا مجيء، لبَانَ لَك".

إلى أن قال: "وأما قوله عليه السلام: (ينزل تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا)، فقد أكثر الناسُ التنازعَ فيه، والذي عليه جمهور أئمة أهل السنة أنهم يقولون: ينزلُ كما قال، ويُصدِّقون بهذا الحديث ولا يُكيِّفون، والقول في كيفية النزول كالقول في كيفية الاستواء والمجيء وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

الحياة الزوجية في الإسلام

اعداد الشيخ / إبراهيم حافظ رزق
فرع منشأة البكاري

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فلقد رغَّب الإسلام في الزواج بصور متعددة؛ فتارة يذكره على أنه من سنن الأنبياء وهدي المرسلين كما في قوله تعالى: « وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً » (الرعد: ٣٨). وتارة يذكر الزواج في معرض الامتنان؛ فيقول تعالى: « وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً » (النحل: ٧٢).

وتارة يذكره على أنه آية من آيات الله يتفضل بها على عباده؛ فيقول تعالى: « وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً » (الروم: ٢١).

وقد أمر الله في كتابه بالزواج وحضَّ عليه الرسول صلى الله عليه وسلم في أحاديثه، قال تعالى: « وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ » (النور: ٣٢)، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» متفق عليه من حديث عبد الله بن مسعود.

وقد شرع الله الزواج لتنظيم العلاقة بين الرجل والمرأة فتنشأ من خلاله الأسرة التي هي قوام المجتمع، وقد حثَّت الشريعة الإسلامية الشباب على الزواج؛ لما فيه من المصلحة للفرد والجماعة، وتتجلى هذه المصلحة في أن الزواج هو أفضل طريق لاستنفاد طاقة الإنسان الجنسية المتجددة ووسيلة لتنظيم الفطرة التي أودعها الله في الإنسان، كما أن الزواج وسيلة الإنسان لحفظ نوعه وتخليد ذكراه بالتوالد والتناسل، ويقول تعالى:

« وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً » (النحل:٧٢).

والـزواج نظام إلهي شرعه الله لعباده منذ أن خلق آدم وحـواء، يقول تعالى: «هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا » (الأعــراف: ١٨٩)، والــزواج أيضًا سُنة من سنن الأنبياء والمرسلين كما سبق أن ذكرنا؛ حيث إن الزواج يصون العين ويحفظ الفـرج ويُطفئ الشهوة ويُشبع الغريزة ويطرد الهواجس، وبالزواج تسكن النفس وتكتمل الألفة وتُحفظ الصحة، يقول تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً » (النساء: ١)، فالزوجة سكن الزوج وهي شريكة حياته وربة بيته وأم أولاده ومهوى فؤاده وموضع سره ونجواه، وهي أهم ركن من أركان الأسرة؛ لذلك اهتم الإسلام باختيار الزوجة الصالحة وجعلها خير متاع ينبغي التطلع إليه والحرص عليه، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة» رواه مسلم من حديث عبدالله بن عمرو.

وفي الصحيحين عن أبـي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تُنْكَح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها؛ فاظفر بذات الدين تربت يداك».

ولم يقتصر اهتمام الإسلام بالزواج على الدعوة إليه والحـث عليه، بل تعداه إلى الاهتمام بكيفية اختيار الـزوج لزوجته، وكذلك الزوجة لزوجها، وتوضيح علاقة كل منهما بالآخر، وما له من حقوق وما عليه من واجبات، يقول تعالى: «وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ » (الـنـور: ٣٢)، وحـثَّ الرسول صلى الله عليه وسلم الشباب على أن يتخير لنفسه الـزوجـة الصالحة والـتـي تتمتع بحسن السمعة وكريم الأخـلاق، وأن تكون من بيت مؤمن وأسرة متدينة، وفي الحديث الشريف: «إذا خطب إليكم من ترضون دِينه وخُلقه فـزوِّجـوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض». رواه الترمذي عن أبي هريرة. وقد اختلف في صحته وحسَّنه الألباني.

ويقول في اختيار الزوجة: «فاظفر بذات الدين تربت يداك».

فـذات الدين تعرف حق ربها وحق زوجها، فدينها يصونها من كل ما يغضب الله، وكما يختار الرجل شريكة حياته فكذلك ينبغي للفتاة ولـولي أمرها اختيار الـزوج الصالح بالتحري والتدقيق، وبذل الجهد وحسن الاختيار.

وقد أوضح الإسلام حدود العلاقة بين كل من الزوج والزوجة، وأعلم كلًّا منهما أنه إذا كان له بعض الحقوق لدى الطرف الآخر فـإن عليه كذلك بعض الواجبات التي لا بد له أن يؤديها على أحسن حال وأكمل وجـه، فمتى أُدِّيــت تلك الـواجـبـات عُمر البيت بحُسن العشرة ودوام الصفاء، والألفة والمـودة وخـرج منه النسل الصالح النافع لنفسه ولأُمَّته، وقد وضح الله تلك الحقوق

والواجبات في كتابه الكريم وفصَّلها الرسول صلى الله عليه وسلم في سنته؛ يقول الله تعالى: «وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ » (البقرة: ٢٢٨)».

فهذه الآية أثبتت لكل من الزوجين حقوقًا على صاحبه، وخصَّت الرجل بمزيد درجة لاعتبارات خاصة، ودلت الآية على ما للزوجة من حقوق وما عليها من واجبات.

والمعنى-والله أعلم-: أي وللنساء على الرجال من الحقوق مثل ما للرجال عليهن، فليؤدِّ كل طرف منهما للآخر ما عليه بالمعروف، وأما قوله تعالى: «وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ»؛ فيقول ابن كثير في تفسير تلك الآية: أي في الفضيلة وفى والخُلق والمنزلة وطاعة الأمر والإنفاق والقيام بالمصالح والفضل في الدنيا والآخرة. انتهى. (١/٦١٠)

وفي حجة الوداع وضَّح الرسول صلى الله عليه وسلم في خطبته الشهيرة ما للمرأة من حقوق، وما عليها من واجبات، فكان من جملة ما قال: «ألا وإن لكم على نسائكم حقًّا، ولنسائكم عليكم حقًّا، فأما حقكم على نسائكم فلا يُوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون، ألا وإن حقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن». رواه الترمذي عن عمرو بن الأحوص وحسنه الألباني في صحيح الترمذي.

وفي الحديث عن معاوية بن حيدة قال: قلت يا رسول الله، ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: «أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبِّح، ولا تهجر إلا في البيت» حديث حسن رواه أبو داود.

فالعلاقة الزوجية من أجمل وأفضل أنواع العلاقات الإنسانية وأسعدها وأهنئها، وليست هناك سعادة في الكون أجمل من حياة زوجين تحت ظل رباط الزواج الذي وصفه الله في كتابه بالميثاق الغليظ؛ كما في قوله تعالى: «وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا » (النساء:٢١) ولذلك حرَّم الزنا واللواط والمساكنة.

فعلى كلٍّ من الزوجين أن يلتزم بما فرض الله عليه من الواجبات تجاه الطرف الآخر، فلا تطلب المرأة مثلاً أن تتساوى بالرجل في جميع حقوقه، كما ينادي أدعياء الحضارة الغربية وتابعوهم ممن هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، ولا يستغل الرجل ما فضله الله به على المرأة من السيادة والقوامة، فيظلمها بدون حق، فقد قال الله تعالى: «ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ » (النساء: ٣٤)، ويقول سبحانه: «وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ » (البقرة: ٢٢٨)، فعلى كل من الزوجين أن يتقي الله في صاحبه، وأن يُحسن معاملته حتى تدوم العشرة بينهما، ويرفرف الاستقرار والهناء والسعادة على الأسرة.

وصلِّ اللهم وسلِّم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

خلق الرفق

إعداد الشيخ/ صلاح عبد الخالق

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: فإن الرفق خُلق كريم من أخلاق الإسلام، وله أهمية وفضائل وثمرات كثيرة، وهذا ما سنتناوله في هذا المقال، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

أولاً: تعريف الرِّفق:

هُوَ لِينُ الْجَانِبِ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، وَالأَخْذ بِالأَسْهَلِ وَهُوَ ضد العنف. (فتح الباري: ١٠/٤٤٩).

يقال «رفَق بفلان/رفَق على فلان/رفَق لفلان: لَطَف به، وألان جانبه له، وأحسن الصَّنيع له "عامله برفق» «معجم اللغة العربية المعاصرة» (٢/٩١٩).

قد يظن بعض الناس أن معنى الرفق أن تأتي للناس على ما يشتهون ويريدون، وليس الأمر كذلك؛ بل الرفق أن تسير بالناس حسب أمر الله ورسوله، ولكن تسلك أقرب الطرق وأرفق الطرق الناس، ولا تشق عليهم في شيء ليس عليه أمر الله ورسوله. (شرح رياض الصالحين ٣/٦٣٤).

ثانيا: حكمُ الرِّفق

النَّدبُ والاستحبابُ، وهذا الحُكمُ من حيثُ العُمومُ، أمَّا إذا كان التَّعامُلُ بالرِّفْق يحقِّقُ مصلحةً، وتركُه يحقِّقُ مَفسدةً، أو يفوِّتُ مَقصَدًا شرعيًّا، أو هو مَظنَّةٌ لذلك، فحكمُه حينئذٍ الوجوبُ. وأمَّا إذا كان التَّعامُلُ

بالرِّفق يجلبُ مفسدةً، أو يُفوِّتُ مقصدًا شرعيًا، فهو ممنوعٌ، وحُكمُه التَّحريمُ. (الرفق في السنة النبوية صـ٤٤).

ثالثًا: من فوائد وفضائل الرفق

للرفق فوائد وثمرات كثيرة، منها ما يلي:

(١) محبة الله تعالى: عَنْ عَائشَةَ رَضيَ اللَّه عَنْهَا، قَالَتْ: اسْتَأْذَنَ رَهْطٌ مِنَ اليَهُود عَلَى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ، فَقُلْتُ: بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، فَقَالَ: «يَا عَائشَةُ، إنَّ اللَّه رَفِيقٌ يُحبُّ الرِّفْقَ في الأَمْرِ كُلِّه» قُلْتُ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: "قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ" (صحيح البخاري ٦٩٢٧، وصحيح مسلم ٢١٦٥).

(إنَّ الله رَفِيقٌ) أَيْ: لَطِيفٌ بِعِبَادِه، يُرِيدُ بِهِمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِهِمُ الْعُسْرَ، فَيُسَامِحُهُمْ وَلَا يُكَلِّفُهم فَوْقَ وُسْعِهِمْ، (يُحِبُّ الرِّفْقَ) أَيْ: من يَرْضَى بِه وَيُثْنِي عَلَيْه (وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ) أَيْ: الْمَثُوبَاتِ وَالْمَآرِبَ أَوْ مِنَ الْأَغْرَاضِ وَالْمَطَالِب (مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ). (مرقاة المفاتيح ٨/٣١٧٠).

فالإنسان الرفيق حريٌّ بأن يعامله الله-عز وجل- هذه المعاملة، فالله كريم وحليم تبارك وتعالى، فإذا كان الإنسان كريمًا فإن الله يعامله بكرمه، وإذا كان رحيمًا وحليمًا فإن الله يعامله برحمته وحلمه سبحانه. (شرح رياض الصالحين ٣/٥٠).

وفي هَذَا الْحَدِيث اسْتِحْبَابُ تَغَافُلِ أَهْلِ الْفَضْلِ عَنْ سَفَهِ الْمُبْطِلِينَ إِذَا لَمْ تَتَرَتَّبْ عَلَيْه مَفْسَدَةٌ؛ قَالَ الشَّافِعِيُّ-رَحِمَهُ اللَّه-: "الْكَيِّسُ الْعَاقِلُ هُوَ الْفَطِنُ الْمُتَغَافِلُ". (شرح النووي ١٤/١٤٧).

(٢) محبة الناس: قال تعالى: «فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ» (آل عمران: ١٥٩)؛ أي: برحمة الله لك ولأصحابك، منَّ الله عليك أن ألنت لهم جانبك، وخفضت لهم جناحك، وترفقت عليهم، وحسَّنت لهم خُلقك، فاجتمعوا عليك وأحبوك، وامتثلوا أمرك. «ولو كنت فظًا»؛ أي: سيئ الخلق «غليظ القلب» أي: قاسيه، «لانفضوا من حولك»؛ لأن هذا يُنفرهم ويبغضهم لمن قام به هذا الخلق السيئ. (تفسير السعدي: صـ١٥٤).

(٣) الرفق زينة وكمال: عَنْ عَائشَةَ، زَوْج النَّبيِّ-صلى الله عليه وسلم-، عَن النَّبيِّ-صلى الله عليه وسلم-، قَالَ: «إنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ في شَيْءٍ إلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ منْ شَيْءٍ إلَّا شَانَهُ» (صحيح مسلم ٢٥٩٤).

(إنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ)؛ أَيْ: لَا يُوجَدُ (في شَيْءٍ) أَيْ: منَ الذَّوَات وَالْأَعْرَاض (إلَّا زَانَهُ)؛ أَيْ: زَيَّنَهُ وَكَمَّلَهُ، (وَلَا يُنْزَعُ)؛ أَيْ: لَا يُفْقَدُ وَلَا يُعْدَمُ (منْ شَيْءٍ إلَّا شَانَهُ)؛ أَيْ: عَيَّبَهُ وَنَقَّصَهُ. (مرقاة المفاتيح: ٨/٣١٧٠).

"ما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نُزع من شيء إلا شانه"؛ لأن به تسهل الأمور، وبه يتصل بعضها ببعض، وبه يجتمع ما تشتت، ويأتلف ما تنافر وتبدد، ويرجع إلى المأوى ما شذ، وهو مؤلف للجماعات جامع للطاعات، ومنه أخذ أنه ينبغي للعالم إذا رأى من يُخلّ بواجب أو يفعل محرمًا أن يترفق في إرشاده ويتلطف به. (فيض القدير ٥/٤٦١).

(٤) الرفق فيه هدوء البيوت: عَنْ عَائشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّه-صلى الله عليه وسلم-: "إذَا أَرَادَ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ بأَهْل بَيْتٍ خَيْرًا، أَدْخَلَ عَلَيْهمُ الرِّفْقَ" (مسند أحمد ٢٤٤٢٧، وصحيح الجامع ٣٠٣)؛ أي صار بعضهم يرفق ببعض، وهذا من أسباب السعادة في البيت، والمحافظة على تماسك بنيان

الأسـرة المسلمة وصفاء أجوائها. فالرفق نافع جدًّا في العلاقات الأُسَرِيَّة مع الأهل وذوي الرحم، ينبغي أن يسودها الرفق واللين بين الزوجين، ومع الأولاد، ويأتي بنتائج لا يأتي بها العنف. (أدخل عليهم الرفق)؛ وذلك بأن يرفق بعضهم ببعض، والرفق لين الجانب واللطف والأخذ بالأسهل وحسن الصنيع. والرفق محمود وضده العنف والحدة والعنف ينتجه الغضب والفظاظة والرفق واللين يُنتجهما حُسن الخلق والسلامة، والرفق ثمرة لا يثمرها إلا حسن الخلق، ولا يحسن الخلق إلا بضبط قوة الغضب وقوة الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال ،ولذلك أثنى المصطفى-صلى الله عليه وسلم- على الرفق وبالغ فيه. (فيض القدير ١/٢٦٣).

(٥) عنوان سعادة العبد في الدنيا والآخرة: عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ-صلى الله عليه وسلم- قَالَ لَهَا: "إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ، فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجِوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ، وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ. (مسند أحمد: ٢٥٢٥٩، وصححه محققوه).

«ومن آتاه الله الرِّفقَ فقد أعطاه خيرًا عظيمًا من الثناء الحسن، والتوفيق، وصلاح البال، وطمأنينة النفس، ونيل المطالب وتحقيق المآرب، وفي الآخرة أجر عظيم، وثواب جزيل؛ وذلك بأن المتأني الذي يأتي الأمور بسكينة ورفق اتباعًا لسنن الله في الكون، واتباعًا لنبيه محمد-صلى الله عليه وسلم-؛ فإنَّ هذا كان هديه وطريقه» (الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة: ٥١٦/٧).

والرفق نعمة عظيمة من نعم الله عز وجل، من أعطاه الله إياها، فقد فاز بخيرٍ عظيمٍ في الدنيا والآخرة.

(٥) النجاة من النار: عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ-صلى الله عليه وسلم- قَالَ: "حُرِّمَ عَلَى النَّارِ كُلُّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ سَهْلٍ قَرِيبٍ مِنَ النَّاسِ. (مسند أحمد ٣٩٣٨، وصحيح الجامع ٣١٣٥)؛ لَيِّن: سهل، رقيق لا عنف فيه. لطيف يسير المعاشرة، ليِّن الجانب: سهل التعامل ليِّن العَريكة: سَلِس الخُلُق، سَهْل الانقياد، سَمْح رقيقٌ لطيفٌ طائعٌ» (معجم اللغة العربية المعاصرة ٢٠٥٧/٣).

رابعًا: مجالات الرفق:

الرفق في الأمر كله: فعن عَائِشَة قالت: قال رسول اللَّه-صلى الله عليه وسلم-: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ» (صحيح البخاري ٦٣٩٥).

(يحب الرفق في الأمر كله)؛ في أمر الدين وأمر الدنيا، حتى في معاملة المرء نفسه. ويتأكد ذلك في معاشرة مَن لا بد للإنسان من معاشرته كزوجته وخادمه وولده؛ فالرفق محبوب مطلوب مرغوب، وكل ما في الرفق من الخير ففي العنف مثله من الشر. (فيض القدير ٢٨٧/٢).

خامسًا: التحذير من ترك الرفق:

عَنْ جرير، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صلى الله عليه وسلم-: «مَنْ يُحْرَمُ الرِّفْقَ يُحْرَمُ الْخَيْرَ كُلَّهُ» (سنن أبي داود ٤٨٠٩ وهو صحيح).

أي: فيما تَصَرف فيه، فإذا تَصَرف الإنسان بالعنف والشدة فإنه يُحرم الخير فيما فعل، وهذا شيء مُجرَّب ومُشاهَد، أن الإنسان إذا صار يتعامل بالعنف والشدة؛ فإنه يُحرم الخير ولا ينال الخير، وإذا كان يتعامل بالرفق والحلم والأناة وسعة الصدر؛ حصل على خيرٍ كثير. (شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٥٩٢/٣).

والحمد لله رب العالمين.

الاستنفار للزوم الاستغفار

إعداد **الشيخ عبده أحمد الأقرع**
فرع اختاواي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده: نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: فقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن ثُلة من أنبيائه ورسله أن طلب المغفرة من الله هو رجاؤهم ومطلبهم؛ فقال سبحانه عن الأبوين -عليهما السلام- قولهما: «قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ» (الأعراف: ٢٣).

وقال سبحانه عن نبيه نوح عليه السلام أنه قال: «رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ» (نوح: ٢٨).

وقال سبحانه عن خليله إبراهيم عليه السلام أنه قال: «رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ» (إبراهيم: ٤١).

وقال سبحانه عن كليمه موسى عليه السلام أنه قال: «قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى» (القصص: ١٦)، وقال: «قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ» (الأعراف: ١٥١).

وقال سبحانه عن نبيه داود عليه السلام: «فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ» (ص: ٢٤).

وقال سبحانه عن نبيه سليمان عليه السلام: «قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ» (ص: ٣٥).

وأما رسولنا محمد -صلى الله عليه وسلم- الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر- فقد قال عليه الصلاة والسلام: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة» (البخاري: ٦٣٠٧).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نَعُدّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد مائة مرة: «رب اغفر لي وتب عليَّ إنك أنت التواب الرحيم». (صحيح أبي داود ١٣٤٢).

وعن سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن جده، قال: جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن جلوس فقال: «ما أصبحت غداة قط إلا استغفرت الله تعالى فيها مائة مرة». (الصحيحة رقم (١٦٠٠)، وصحيح الجامع رقم ٥٥٣٤).

وكان صلى الله عليه وسلم يقول في بعض أدعية استفتاح الصلاة: «اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي، وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعًا إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك، والخير كله في يديك، والشر ليس إليك، أنا بك واليك، تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك». (صحيح مسلم: ٧٧١).

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي؛ يتأول القرآن». (متفق عليه)

والمراد بقولها رضي الله عنها "يتأول القرآن": أي: يتأول قول الله عز وجل في سورة النصر: « فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا » (النصر:٣). (فقه الأدعية والأذكار (١٤٢/٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في سجوده: «اللهم اغفر لي ذنبي كله، دقه وجله، وأوله وآخره، وعلانيته وسره». (مسلم ٣٥٠/١).

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بين السجدتين: «ربي اغفر لي، ربي اغفر لي». (صحيح ابن ماجه: ٧٣١). وعن ثوبان رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من صلاته قال: «أستغفر الله، أستغفر الله» (رواه مسلم: ٥٩١).

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم: «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم، وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت». (صحيح مسلم: ٧٧١).

سبحان الله!! الناظر في أحوال النبي صلى الله عليه وسلم يجد أن جُل أوقاته صلى الله عليه وسلم الاستغفار وسؤال الله تعالى أن يغفر له، وهو صلى الله عليه وسلم المعصوم بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم، وهو الذي قال الله له: « إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ① لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا » (الفتح: ١-٢)، فكيف بنا إخواني وقد بلغت الذنوب عنان السماء: « وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا » (الإسراء: ١٧)؟!

ولما قال الصديق رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم: علمني دعاءً أدعو به في صلاتي؟ قال صلى الله عليه وسلم: «قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم». (متفق عليه).

وقد مدح الله تعالى أقوامًا فقال تعالى عن أولي الألباب أنهم قالوا: « رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ » (آل عمران: ١٩٣)، وقال تعالى عن فريق من عباده: « إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ » (المؤمنون: ١٠٩)، وقال تعالى عن المتقين: « كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ⑰ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ » (الذاريات: ١٧-١٨).

وحتى المعصية لا تمنع الاستغفار، كما قال تعالى: « وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ » (آل عمران: ١٣٥)؛ أي: تابوا من ذنوبهم، ورجعوا إلى الله عن قريب. وقد قال الله تعالى عن أصحاب الشمال: « وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ » (الواقعة: ٤٦)، بل يكون عقيب الطاعات أيضا، وحين الانصراف من الصلوات: قال تعالى للحجاج: « ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » (البقرة: ١٩٩).

وقال الله تعالى: « فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا

وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ »(المزمل: ٢٠).

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثًا، وقال: «اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام». قال الوليد- أحد رواة الحديث-: فقلت للأوزاعي: كيف الاستغفار؟ قال: تقول: أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله. (مسلم رقم ٥٩١).

كل ذلك يدل على أهمية الاستغفار، وعظيم حاجة الناس إليه، لما له من الفوائد الدنيوية والأخروية، فمن ذلك: أنه سبب لمغفرة الذنوب، وتكفير السيئات. قال الله تعالى: « وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا » (النساء: ١١٠).

وفي الحديث القدسي يقول تعالى: «يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعًا، فاستغفروني أغفر لكم». (مسلم (٢٥٧٧).

ويقول تعالى: «يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني، غفرت لك ولا أبالي». (صحيح الترمذي (٣٥٤٠).

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له». (مسلم (١٨٨٠).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قال: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، غُفرت ذنوبه، وإن كان قد فرَّ من الزحف». (صحيح الترغيب: ١٦٢٢).

ومنها: أنه سبب لنزول المطر، ونبات الزرع، والإمداد بالأموال والعيال.

قال الله تعالى عن نوح عليه السلام: « فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا » (نوح: ١٠-١٢).

ومنها: المتاع الحسن والمعيشة الطيبة. قال تعالى على لسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: « وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ » (هود: ٣).

ومنها: سبب لحصول القوة في البدن. قال تعالى على لسان نبيه هود عليه السلام: « وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ » (هود: ٥٢).

ومنها: دوحة الأمان. قال الله تعالى: « وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ » (الأنفال: ٣٣).

ومنها: جلاء القلب ونقاؤه. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه». (أخرجه أحمد: ٢/٢٩٧).

ومنها: قوله عليه الصلاة والسلام: «طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارًا كثيرًا». (صحيح الجامع: ٣٩٣٠). وقوله صلى الله عليه وسلم: «من أحب أن تسره صحيفته فليكثر فيها من الاستغفار». (صحيح الجامع: ٥٩٥٥).

ومنها: رفع الدرجات في الجنة. قال صلى الله عليه وسلم: «إن الرجل لتُرفع درجته في الجنة، فيقول: أنّى لي هذا؟ فيقال: باستغفار ولدك لك». (صحيح الجامع: ١٦١٧). والحمد لله رب العالمين.

الحلقة 2

كيف نفوز بمحبة الله تبارك وتعالى؟

إعداد أ/عبد العزيز مصطفى الشامي

الحمد لله، والصلاةُ والسلامُ على رسول الله. وبعدُ:

من واجبات الإيمان ولوازمه: محبة الله تعالى ورسوله ومحبة ما يحبه الله ورسوله من الإيمان والعمل الصالح، وتوابع ذلك. وبُغض ما يبغضه الله ورسوله من الكفر والفسوق والمعاصي، وبغض أعداء الله تعالى ورسوله. قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: "محبة الله ورسوله من أعظم واجبات الإيمان وأكبر أصوله وأجل قواعده، بل هي أصل كل عمل من أعمال الإيمان والدين. (التحفة العراقية: ص٥٧).

ومحبة العبد لربه ينبغي أن تكون أعظم من كل محبة أخرى. قال الله تعالى: «قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ» (التوبة: ٢٤).

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي-رحمه الله-: " محبة الله ورسوله يتعين تقديمهما على محبة كل شيء، وجميع الأشياء تابعة لهما: فقال تعالى: «قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ» ومثلهم الأمهات «وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ» في النسب والعشيرة «وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ» أي: قراباتكم عمومًا «وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا» أي: اكتسبتموها وتعبتم في تحصيلها، خصها بالذكر، لأنها أرغب عند أهلها، وصاحبها أشد حرصا عليها ممن تأتيه الأموال من غير تعب ولا كدّ.

«وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا» أي: رخصها ونقصها، وهذا شامل لجميع أنواع التجارات والمكاسب من عروض التجارات، من الأثمان، والأواني، والأسلحة، والأمتعة، والحبوب، والحروث، والأنعام، وغير ذلك.

«وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا» من حسنها وزخرفتها وموافقتها لأهوائكم، فإن كانت هذه الأشياء «أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ» فأنتم فسقة ظلمة.

«فَتَرَبَّصُوا» أي: انتظروا ما يحل بكم من العقاب «حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ» الذي لا مرد له.

«وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ» أي: الخارجين عن طاعة الله، المقدمين على محبة الله شيئا من المذكورات.

وهذه الآية الكريمة أعظم دليل على وجوب محبة الله ورسوله، وعلى تقديمها على محبة كل شيء، وعلى الوعيد الشديد والمقت الأكيد، لمن كان شيء من هذه المذكورات أحب إليه من الله ورسوله،

وجهاد في سبيله.

وعلامة ذلك، أنه إذا عرض عليه أمران، أحدهما يحبه الله ورسوله، وليس لنفسه فيها هوى، والآخر تحبه نفسه وتشتهيه، ولكنه يُفَوّتُ عليه محبوبًا لله ورسوله، أو ينقصه، فإنه إن قدم ما تهواه نفسه، على ما يحبه الله، دل ذلك على أنه ظالم، تارك لما يجب عليه". (تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن: ص٣٣٢).

ومن أحب غيرَه كحبه-سبحانه- فقد أشرك مع الله غيره، قال الله تعالى: « وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ » (البقرة: ١٦٥)، "أي: يحبون آلهتهم كحب المؤمنين الله، وقال الزَّجاج: يحبون الأصنام كما يحبون الله؛ لأنهم أشركوها مع الله فسووا بين الله وبين أوثانهم في المحبة". (تفسير البغوي: ١/١٧٨).

ولما كانت محبة الله تعالى بهذه المنزلة، فقد ذكرنا في العدد الماضي أول الوسائل المعينة على الفوز بمحبة الله تبارك وتعالى، ونكمل فنقول وبالله تعالى التوفيق:

٢- ومن الوسائل المعينة على نيل محبة الله تبارك وتعالى: التفكر في الكون وأحداث الحياة:

مع الآيات المقروءة في القرآن تأتي الآيات المرئية والمنظورة في الكون وأحداث الحياة. فكل ما في الكون يدل على الله ويُذكّر به « أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ » (فصلت: ٥٣). ولقد حثنا-سبحانه- على أن نتفكر في آياته المبثوثة في كونه، وفيما يمر بنا من أحداث في حياتنا لتكون وسيلة للتذكرة الدائمة به، ومن ثمَّ الوصول إلى معرفته، وحبه، والتعلق التام به. تأمل قوله تعالى: « أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ » (ق: ٦-٨).

ومما يوجه الانتباه أن الله عز وجل يُصرف الآيات الكونية ويكررها بأشكال مختلفة، كما يكرر الآيات بأساليب مختلفة في القرآن ليتم من خلالها التذكرة والتبصرة، ومن ثم يزداد الإيمان رسوخًا في القلب « ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ » (الأنعام: ٦٥). ومثال ذلك: الحر الشديد أو البرد الشديد، أو العواصف، أو... كل ذلك آيات تذكر بالله عز وجل.

وكما أن الله عز وجل قد ذم من يعرض عن تدبر القرآن وفهم المراد من آياته، فإنه كذلك قد ذم من يعرض عن التدبر والتفكر في آياته المبثوثة في كونه « فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا » (الأنعام: ١٥٧). « وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ » (يوسف: ١٠٥).

ولذا لا بد إذا من التفكر في آيات الله المبثوثة في كونه المنظور والذي يشمل المخلوقات التي تراها أعيننا كالسماء والجبال والأشجار، ويشمل كذلك أحداث الحياة المختلفة التي تمر بكل إنسان.

« أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ » (الأعراف: ١٨٥).

فيستدل المرء من خلالها على الله عز وجل فيزداد به معرفة. فإذا ما تجاوب القلب مع هذه المعرفة ازدادت مساحة الإيمان فيه، وانجلت بصيرته، وشيئًا فشيئًا ينير القلب فيرى بهذا النور صفات ربه تتجلى من وراء كل شيء تراه عيناه، فيوحده التوحيد الحقيقي، ويربط حياته كلها به.

لذلك كان التفكر من أفضل العبادات سواء كان هذا التفكر في آيات القرآن، أو آيات الكون.

يقول ابن رجب: "كان السلف يفضلون التفكر عن نوافل العبادة، وكان أكثر عمل أبي الدرداء الاعتبار والتفكر". (استنشاق نسيم الأنس، ص٤٩).

٣- ومن الوسائل المعينة على الفوز بمحبة الله تبارك وتعالى: تحديث الناس عن الله عز وجل وجلاله وعظمته ليحبوه:

ومن الأعمال الصالحة التي تسقي شجرة المحبة: تحبيب الناس في الله عز وجل، وذلك بالحديث معهم عن نعمه سبحانه ومدى حبّه لهم ورأفته وشفقته ولطفه بهم. فهذه الوسيلة لها أكثر من فائدة، منها: أنها تذكر المتحدّث بما قد يكون غفل عنه، فتجعله في حالة دائمة من التذكر والانتباه.

ومن فوائدها كذلك: أنها تدفعه إلى العمل بما يقول حتى لا يدخل في دائرة من يقول ولا يفعل.

ومنها كذلك: أنها من أفضل الأعمال التي يحبها الله عز وجل، ومن ثَمَّ فإنها تعرِّض صاحبها لنفحات المحبة الإلهية.

وعن أبي أمامة الباهلي أنه كان يقول: "حببّوا الله إلى الناس يحببكم الله". (المحبة لله سبحانه للجنيد، ص٥٧).

وجاء في الأثر أن الله عز وجل أوحى إلى داود عليه السلام: "يا داود أحبني، وأحب من يحبني، وحببني إلى خلقي. قال: يا رب، هذا أحبك وأحب من يحبك، فكيف أحببك إلى خلقك؟ قال: ذكرهم بآلائي فإنهم لا يذكرون مني إلا خيرًا" (المحبة لله سبحانه للجنيد، ص٦٣).

وعن كعب قال: أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام: أتحب أن تحبك جنتي وملائكتي، وما ذرأت من الجن والإنس؟ قال: نعم يا رب، قال: حَبِّبني إلى خلقي، قال: كيف أحببك إلى خلقك؟ قال: ذكرهم آلائي ونعمائي، فإنهم لا يذكرون مني إلا كل حسنة. (استنشاق نسيم الأنس، ص ٤٥).

وكان أبو الدرداء يقول: "إن أحب عباد الله إلى الله عز وجل الذين يُحبّون الله ويُحبِّبون الله إلى الناس" (استنشاق نسيم الأنس، ص٧٥).

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبّب الناس في الله عز وجل، ويدفعهم للفرار إليه مهما ارتكبوا من آثام؛ فقد أتاه يومًا من الأيام شيخ كبير وهو يستند على عصاه، فقال: يا نبي الله إن لي غدرات وفجرات فهل يغفر الله لي؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله؟ قال: بلى يا رسول الله. قال: فإن الله قد غفر لك غدراتك وفجراتك. فانطلق وهو يقول: الله أكبر الله أكبر" (أخرجه أحمد ١٩٦٥٢، وقال الهيثمي: رجاله ثقات).

وكذلك كان صحابته: فهذا أبو هريرة رضي الله عنه يلقى الفرزدق وقد كان شاعرًا يقذف النّساء، وكانت الناس تكره فيه ذلك، فماذا قال له أبو هريرة عندما لقيه؟

يقول الفرزدق: قال لي أبو هريرة: أنت الفرزدق؟ قلت: نعم. فقال: أنت الشاعر؟ قلت: نعم. فقال: أما إنك إن بقيت لقيت قومًا يقولون لا توبة لك، فإياك أن تقطع رجاءك من رحمة الله". (حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا، ص٦٩).

ومات لرجل ابنٌ مسرفٌ على نفسه، فلقيه عليَ بن الحسين فقال له: إن من وراء ابنك ثلاث خلال: أما أولها فشهادة أن لا إله إلا الله، وأما الثانية فشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأما الثالثة فرحمة الله عز وجل التي وسعت كل شيء. (حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا، ص٦٩).

٤ - ومن الوسائل المعينة على الفوز بمحبة الله تبارك وتعالى: الإلحاح على الله بأن يرزقنا حبه:

علينا أن نسأل الله عز وجل ونلحَ عليه بأن يرزقنا حبَه، مثل ما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن دعائه ما ثبت عَن عَبْدِ اللَّهِ بن يَزِيدَ الْخَطْمِيِّ الأَنْصَارِيِّ، عَن رَسول اللهِ أَنَّه كانَ يَقُولُ فِي دُعَائِه «اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يَنْفَعُنِي حُبُّهُ عِنْدَكَ. اللَّهُمَّ مَا رَزَقْتَنِي مِمَّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ قُوَّةً لِي فِيمَا تُحِبُّ. اللَّهُمَّ وَمَا زَوَيْتَ عَنِّي مِمَّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ قوة لي فِيمَا تُحِبُّ» (السلسلة الصحيحة: ٧٠٧).

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

صدر حديثاً

المجلد الجديد

بمقر مجلة التوحيد

مجلة - إسلامية - ثقافية - شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
التوحيد
١٤٤٣
التوحيد
مجلة
إسلامية
ثقافية
شهرية

لعام ١٤٤٣ هـ

يوجد مجلدات السنوات القديمة
سعر المجلد ٢٥ جنيه
بدلاً من ٥٠ جنيه
حتى عام ١٤٣٩ هـ

١٢٠٠ جنيه
سعر الكرتونة بدلاً من
~~١٥٠٠~~ جنيه
لفترة محدودة

هدايا قيمة
لأول ١٠٠ مشترٍ

سعر المجلد الجديد
١٠٠ جنيه

الآن أصبحت 51 مجلداً من الموسوعة

للحصول على المجلدات والكرتونة الاتصال على قسم التوزيع

☎ واتساب: ٠١٠٠٢٧٧٨٢٣٢

علم نافع لايستغني
عنها البيت المسلم»

التوحيد

التوحيد
وقفات شرعية مع أحداث الثورة المصرية
الحج مشهد يوم عظيم !!
الهجر وضوابطه
عام يرتحل... وصفحة تطوى !!
السلفية صمام أمان للأمة
أنصار السنة المحمدية والانتخابات
الفتنة المقنعة
يا دعاة الأمة: الزموا السنة على منهاج النبوة

يسر مجلة التوحيد الإعلان عن عودة خدمة الاشتراكات الخاصة بالأفراد والمؤسسات على أن يكون سعر الاشتراك السنوي للفرد (عدد نسخة واحدة من المجلة على عنوان المشترك) ٢٠٠ جنيه سنوياً.

☎ للتواصل واتساب: ٠١٠٠٢٧٧٨٢٣٢

التوحيد
١٤٤٣